جـزء فيـه

ذكر اعتقاد السلف

في الحــروف والأصــوات

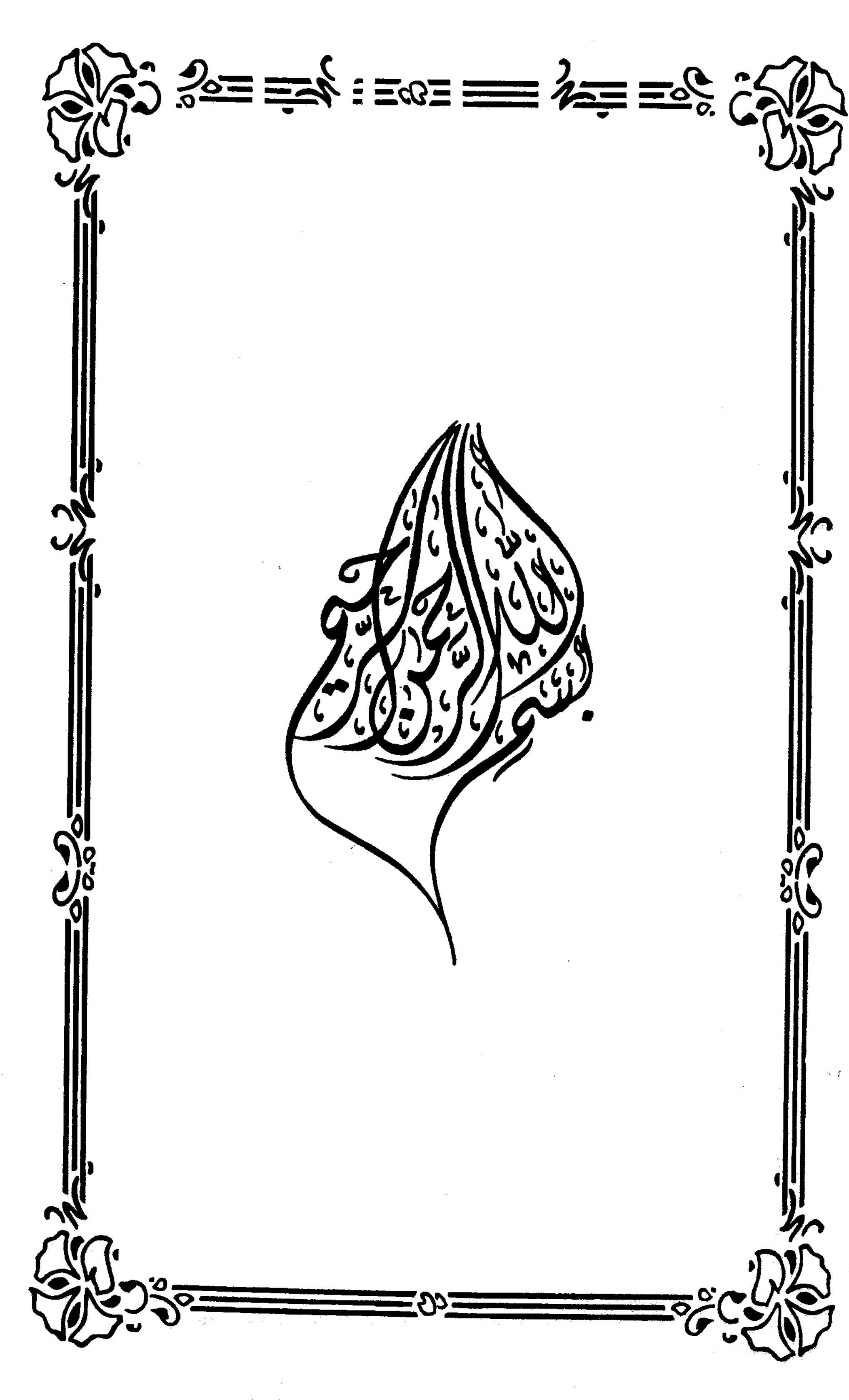
للإمام

أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي

تحقيق

محمد عبد اللطيف محمد الجمل

دار ابن عباس


بسم الله الرحمن الرحيم

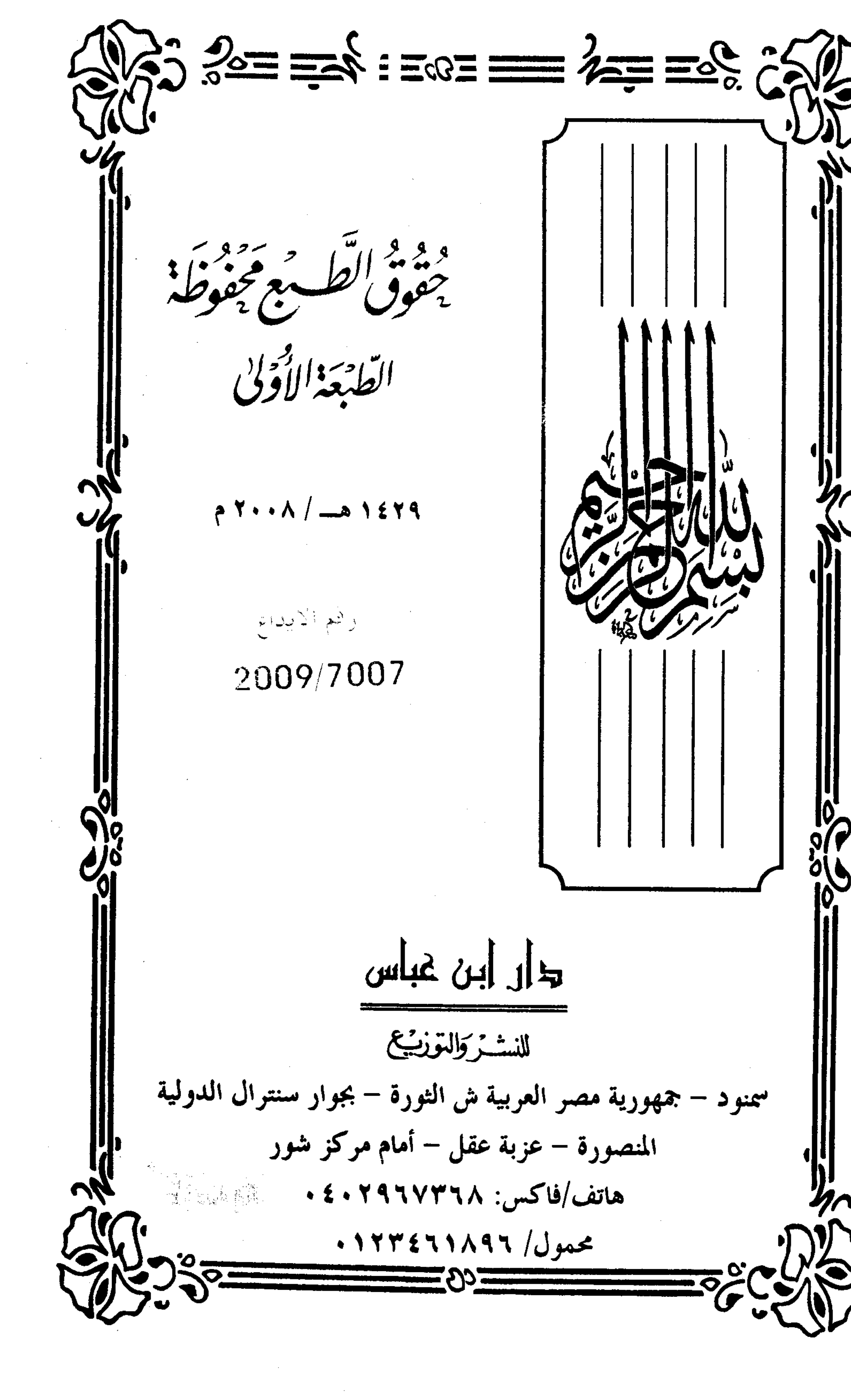


جزء فيه

ذكر اعتقاد السلف

في

الحروف والأصوات



الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

رقم الايداع

2009/7007

دار ابن عباس

للنشر والتوزيع

سمنود - جمهورية مصر العربية ش الثورة - بجوار سنترال الدولية

المنصورة - عزبة عقل - أمام مركز شور

هاتف/فاكس: ٠٤٠٢٩٦٧٣٦٨

محمول/ ٠١٢٣٤٦١٨٩٦

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فهذا جزء في الحروف والأصوات، نقل فيه الإمام العلامة النووي عن الإمام أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان الأرموي الشافعي اعتقاده في الحرف والصوت من كتابه الموسوم بـ: «غاية المرام في مسألة الكلام» فذكر أن كلام الله حروف وأصوات، ونسب هذا القول للإمام أحمد، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ويزيد بن هارون، وعبد الرحمن بن مهدي، وإسماعيل بن علية، ويوسف بن الماجشون، وغير هؤلاء من الأئمة الأعلام.

ثم ذكر قول الأشعري قبل رجوعه إلىٰ أهل السنة والجماعة، وابن فورك، والجويني، وغيرهم؛ من أن القرآن عبارة ودلالة علىٰ الكلام القديم.

ثم أخذ يسحق هذا القول سحقًا بالحجج السلفية من القرآن والسنة وإجماع الصحابة، وهو يسميهم باسمهم الصريح، فيقول: «والعجب أن كتب الأشاعرة مشحونة بأن كلام الله مُنَزَّلٌ علىٰ نَبِيِّه ومكتوبٌ في المصاحف ومتلوٌّ بالألسنةِ علىٰ

الحقيقةِ، ثم يقولون:

المُنزَّل هو العبارة، والمكتوبُ غير الكتابة، والمتلو غير التلاوة، ويشرعون في مناقضات ظاهرة وتعقبات باردة ركيكة!!

ويكفي في دحض هذا المعتقد كونهم لا يستطيعون علىٰ التصريح به، بل هم فيه علىٰ نحو من المِرَاء..».

ثم ذكر عشرين وجهًا في دحض هذا المعتقد، ورد عليهم ردًّا مفحمًا، ثم قال: «فصلٌ في إثبات الحرف لله تعالىٰ» وذكر أدلته.

ثم قال: «فصل في إثبات الصوت لله تعالىٰ وذكر أدلته.

ثم ختم رسالته بقوله: «ونحن من ديننا: التمسكُ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وسنة نبينا ﷺ، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث المشهورين، ونؤمن بجميع أحاديث الصفات، لا نَزيدُ علىٰ ذلك شيئًا ولا نَنْقُصُ منه شيئًا.. إلخ».

ثم قال النووي مُقِرًا له على هذا الاعتقاد السلفي الخالص:

«فهذا آخر ما أردنا ذكره من هذا المختصر من معتقد مصنفه، مما ذكره في كتابه كتاب «غاية المرام في مسألة الكلام» للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي، وهو الذي عليه الجمهور من السلف والخلف... إلخ» اهـ.

وهذا يدل علىٰ أن النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد رجع إلىٰ العقيدة السلفية الخالصة في باب الأسماء والصفات، وترك ما وافق فيه الأشاعرة من ضلالات وتناقضات في باب الأسماء والصفات.

وكان تلخيصه لهذا الجزء النفيس «جزء الحروف والأصوات» قبل وفاته بما يقرب من شهرين حيث انتهىٰ من تصنيفه في الخميس الثالث من شهر ربيع

الآخر سنة ٦٧٦ هـ، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرابع والعشرين من رجب من نفس السنة، رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

* * *

عملي في الرسالة

١ - ضبطت النص، من خلال توثيق ما يذكر النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من نصوصٍ ونُقُولٍ.

٢- مقابلة النسخة الخطية علىٰ النسخة المطبوعة بدار مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع بتحقيق الأخ الفاضل أبي الفضل أحمد الدمياطي جزاه الله خيرًا، والتي جعلتها أصلًا وأثبتُّ الفروق من النسخة الخطية في هامش الكتاب.

٣- اجتهدت في خدمة النص لغويًّا وحديثيًّا؛ لغويًّا ببيان المعاني المُشْكَلة والألفاظ الغريبة، وحديثيًّا بتخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها من صحةٍ وضعفٍ؛ معتمدًا علىٰ أحكام المحدثين وأحكام شيخنا العلامة الألباني رحمه الله تعالىٰ وغيره من أهل العلم.

هذا، وإن كان من توفيق فَمِنَ الله وحده دون سواه، وإن كان من خطإٍ أو سهو أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر لأمي مغفرة واسعة ويسكنها فسيح جناته، ويغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد عبد اللطيف محمد الجمل

الأربعاء ٥ رجب ١٤٢٩هـ

الموافق ٢٠٠٨/٨/٦م

* * *

وصف الأصل المخطوط

دار الكتب المصرية، رقم الحفظ (٢١٣).

مجاميع تيمور عربي من ص (١ إلىٰ ٣٤).

ميكرو فيلم (١٤١٢٩).

وعنوانها: «الزبد في مسألة الكلام والانتصار فيها للحنابلة».

عدد الأسطر مختلفة.

مقاس: ٣×١٨، ٢×١٣.

صور المخطوط

الحمد
فهرست ما في هذا المجموع … كتاب الزبد
للنووي
بذل الماعون في فوائد الطاعون … نهاية السول في … الأصول
لابن حجر … للعزاري



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

الحمد لله المقدس عن مماثلة المحدثات المتعالي عن النقائص والتغيرات
المنعوت بأنواع الأسماء وأصناف الصفات لا إله إلا هو [illegible] الأرض والسموات
أحمده على ما أولى من النعم ودفع من الهلكات وأصلي على أنبيائه الذين
[illegible] على المبعوث بخاتم الرسالات المؤيد
[illegible] الأرض من الضلال [illegible] صلى الله تعالى عليه
بالمعجزات الباهرات و[illegible] البينات [illegible]
وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وتابعيهم [illegible]
[illegible] ظهرت [illegible] الباري في جميع
[illegible] ذوي الأهواء [illegible]
[illegible] الواجبات [illegible]
الأقطار [illegible]
[illegible] المتقدمين [illegible] الاختلافات والتصحيح [illegible]
والأصوات [illegible]
[illegible] الشرع [illegible] النظم والمحاورات [illegible]
[illegible]
العبارات [illegible]
[illegible] الأجودين [illegible]
[illegible]
[illegible] سيد المرسلين [illegible]
[illegible] رب العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى
من الأولين والآخرين محمد بن عبد الله رسول رب العالمين [illegible]
[illegible] في هذا المختصر [illegible]
[illegible]
[illegible] العلوم [illegible]
[illegible]
[illegible] على الله [illegible]
[illegible] ولا قوة إلا بالله
[illegible] الأول
[illegible] هذا المختصر [illegible] أبي العباس أحمد
[illegible] ذكر ما نقلته [illegible] الموسوم
[illegible]

نحا به للمرام في مسألة الكلام والقسم الثاني فيها وضعته في كتابنا
الموسوم بكتاب البيان القسم الأول قال الشيخ أبو العباس في
كتابه فصل في الحروف اعلم نور الله العقل اختلفوا في الحروف هل هي قديمة
في القرآن مطلقا فذهب قوم إلى القدم مطلقا إذ عندهم هي صورة دون
صورة بلا تعرض [illegible] وذهب قوم إلى قدمها في القرآن فقط وذهب بعضهم إلى أنها
حروف فانية بهذه الحروف المرتبة والذي يدل على قدم الحروف على الإطلاق
من كتاب الله تعالى وجوه الأول قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال
الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ففرق بين ما خلق وبين ما علم فلو
لم يكن العلم غير مخلوق لما كان لتخصيص أحدهما بالخلق دون الآخر فائدة
والمراد بالبيان الحروف والكلام العربي في قول أهل التفسير الثاني
قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها وثبت بما تقدم أن علمه غير مخلوق وذكر
أهل التفسير أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام قالوا
كيف نسجد لمن نحن أعلم منه فأظهر الله لهم أسماء المخلوقات كلها على وجه أنباء
وقال لهم إن كنتم أعلم منه فأنبئوني بأسماء هؤلاء فرجعوا إلى الاستغفار
وقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا فأنزل بعد ذلك جبريل إلى آدم تسعة
وعشرين حرفا وألهمه أن يضع على كل شخص اسما فلفق الحروف بعضها
إلى بعض فقال هذا شاة وهذا بعير وهذا فرس إلى أن سمى جميع المخلوقات
التي [illegible] الثالث قوله تعالى اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم
علم الإنسان ما لم يعلم وهذا نص على أن ما يكون بالقلم تعليمه [illegible] لأنه تعالى
وثبت بما تقدم أن ما هو تعليمه غير مخلوق والتعليم بالقلم ليس إلا
الحروف الرابع أن هذه الحروف من علم الله تعالى لما سبق ولقوله
تعالى ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب أخبر أنه تعالى علم الكاتب
الكتابة والكتابة ليست إلا الحروف فعلمه غير مخلوق بالإجماع الخامس من
القرآن أنا [illegible] حروف التهجي أحدهما في سورة آل عمران وهو قوله تعالى
ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية والثانية آخر سورة الفتح محمد

المفسرون برأيهم من غير دليل صحيح أقسام منهم من يحتج بآية لتصحيح مذهبه
ويقوي خاطره مع أنه لا يغلب على ظنه أن ذلك هو المراد بالآية وإنما يقصد الظهور
على خصمه ومنهم من يقصد الدعاء إلى الخير ويحتج بآية من غير أن يظهر له دلالة لما يقوله
ومنهم من يفسر ألفاظ العربية من غير وقوف على معانيها عند أهلها وهي مما لا
يؤخذ إلا بالسماع من أهل العربية وأهل التفسير كبيان معنى اللفظة وإعرابها وما
فيها من الحذف والاختصار والإضمار والحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإجمال
والبيان والتقديم والتأخير والتلميح ... معرفة العربية وحدها بل لابد معها من معرفة
ما قاله أهل التفسير فيها فقد يكونون مجمعين على ترك الظاهر أو على إرادة الخصوص
والإضمار وغير ذلك مما هو خلاف الظاهر وكما إذا كان اللفظ مشتركا بين معان فعلم
أن المراد أحد المعاني ثم فسر كل ما جاء به فهذا كله تفسير بالرأي وهو حرام والله أعلم

فصل يحرم المراء في القرآن والجدال فيه بغير حق فمن ذلك أن يظهر له دلالة الآية
على شيء يخالف مذهبه ويحتمل احتمالا ضعيفا موافقة مذهبه فيحملها على مذهبه ويناظر على ذلك مع
ظهورها له في خلاف ما يقول وأما من لا يظهر له ذلك فهو معذور
وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المراء في القرآن كفر قال الخطابي قيل المراء
في القرآن المراد به الشك وقيل الجدال المشكك فيه وقيل الجدال الذي يفعله أهل الأهواء
في آيات القدر ونحوها

فصل لا يمنع الكافر من سماع القرآن لقول الله عز وجل وإن أحد
من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ويمنع من مس المصحف وهل يجوز تعليمه
القرآن قال أصحابنا إن كان لا يرجى إسلامه لم يجز تعليمه وإن رجي إسلامه ففيه وجهان
أصحهما يجوز رجاء الإسلام والثاني لا يجوز كما لا يجوز بيع المصحف منه وإن رجي إسلامه
فأما إذا رأيناه يتعلم فهل يمنع منه وجهان

فصل اختلف العلماء في كتابة
القرآن في إناء ثم يغسل ويسقى المريض فقال الحسن ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي لا بأس
وكرهه النخعي قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما من أصحابنا ولو كتب القرآن
على الحلوى وغيرها من الأطعمة فلا بأس بأكلها قال القاضي ولو كان على خشبة كره إحراقها

فصل مذهبنا أنه يكره نقش الحيطان والثياب بالقرآن وبأسماء الله تعالى
وقال عطاء لا بأس بكتب القرآن في قبلة المسجد وأما كتابة الحروز من القرآن فقال
مالك لا بأس به إذا كان في قصبة أو جلد وخرز عليه وقال بعض أصحابنا إذا كتب في الحرز
قرآنا مع غيره فليس بحرام ولكن الأولى تركه لكونه يحمل في حال الحدث وإذا كتب يصان بما قاله
الإمام مالك وبهذا أفتى الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله

فصل اتفق العلماء
على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط

دون نقشه وتعليقه قال العلماء ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة
من اللحن فيه والتصحيف وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كرهاه في ذلك الزمان
خوفا من التغيير فيه وقد أمن ذلك اليوم فلا منع ولا يمتنع من كونه محدثا فإنه من
المحدثات الحسنة فلم يمنع كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات
وغير ذلك والله أعلم فصل لا تجوز كتابة القرآن بشيء نجس وتكره كتابته
على الجدران عندنا فصل أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه
فلو ألقاه مسلم والعياذ بالله في القاذورة صار الملقي كافرا قال أصحابنا
ويحرم توسده بل توسد آحاد كتب العلم حرام ويستحب أن يقوم للمصحف
إذا قدم به عليه لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار فالمصحف أولى وقد
قررت دلائل استحباب القيام في الجزء الذي جمعته فيه وروينا في مسند الدارمي
بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يضع المصحف على وجهه
ويقول كتاب ربي كتاب ربي فصل يحرم على المحدث مس المصحف وحمله سواء
حمله بعلاقته أو بغيرها سواء مس نفس المكتوب أو الحواشي أو الجلد ويحرم مس الخريطة
والغلاف والصندوق إذا كان فيهن المصحف هذا هو المذهب المختار ولو كتب القرآن
في لوح فحكمه حكم المصحف سواء قل المكتوب أو كثر حتى لو كان بعض آية كتب للدراسة حرم
مس اللوح فصل ويمنع المجنون والصبي الذي لا يميز من حمل المصحف مخافة
من انتهاك حرمته وهذا المنع واجب على الولي وغيره ممن رآه يتعرض لحمله
هذا الذي ذكرته [illegible] من المختصر [illegible] في التقليد والنقل
أصحاب الجرح والتعديل رضي الله عنهم أجمعين اللهم اجعله لنا لا علينا ووفقنا
وسائر أحبابنا لمرضاتك وأمتنا على هذا المعتقد معتقد الصحابة والتابعين والمشايخ
والصالحين [illegible] واجمع بيننا وبين مشايخنا ومن أحببناه وأحبنا في دار
كرامتك يا أرحم الراحمين

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله

وجد على النسخة المنقول منها بخط الحافظ [illegible] ما صورته

قال المصنف [illegible] رحمه الله فرغت منه صحوة الخميس الثالث من شهر ربيع الآخر سنة

ست وستين وستمائة [illegible]

بخط الإمام شمس الدين محمد [illegible] البعلبكي [illegible]

وقابلت بها [illegible] إلى [illegible] انتهى [illegible]

معتقد أهل السنة والجماعة في صفة الكلام

اتَّفق أهل السُّنَّة والجماعة علىٰ ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة من أن الله تبارك وتعالىٰ موصوف بالكلام، وأنه يتكلم متىٰ شاء كيف شاء بحرف وصوت مسموع، لا يشبه كلام المخلوقين، بل كلامه لائق به سبحانه.

وكلامه صفة له كذاته، نؤمن به ونثبته، ولا نعلم كيفيته، ولا نمثله بشيء من صفات خلقه، ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا صفاته، ولا أفعاله، وهو السميع البصير.

وكلام الله قديم النوع مثل سائر الصفات حادث الآحاد.

يعني: صفة الكلام من حيث هي قديمة، فالله ما زال يتكلم لأنه سبحانه بكلامه قديم أزلي لا بداية له سبحانه وتعالىٰ، ولا بداية لأسمائه وصفاته وأفعاله وأما آحاد الكلام فإنها تتجدد وتحدث شيئًا فشيئًا، يتكلم متىٰ شاء سبحانه وتعالىٰ كسائر صفاته الفعلية.

ومن الأدلة على ذلك:

قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

قال وائل بن داود في الآية: «مُشافَهَةً مِرارًا»[١].

وقال الجوهري: «المشافهة الكلام من فيك إلىٰ فيه»[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والكلام لغةً لا يكون إلا بحرف وصوت، فلما أثبت الله لنفسه الكلام دل علىٰ أنه

---

(١) (ضعيف): رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١١٢٠).

(٢) لسان العرب مادة (شفه).

حرف وصوت؛ لأن الله تعالىٰ وصف كتابه بأنه ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

قال أبو نصر السجزي: «الكلام لا يكون إلا حرفًا وصوتًا ذا تأليف واتساق»(١).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادي بصَوْتٍ: إن الله يأْمُرُكَ أن تخرج من ذريتك بَعْثًا إلىٰ النار...**» الحديث»(٢).

وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة** - أو قال: **العباد** - **عراة غرلًا بُهمًا**». قال: قلنا: وما بُهمًا؟ قال: «**ليس معهم شيء، فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُدَ** - أحسبه قال -: **كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك أنا الديان...**»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: «إذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجدًا...»(٤).

ومن أقوال العلماء:

قال الإمام أحمد لما سئل عمن زعم أن الله عز وجل لم يتكلم بصوت؟

قال: «بلىٰ يتكلم سبحانه بصوت»(٥).

وقال البخاري: «وإن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ، فليس هذا لغير الله عَزَّ وجلَّ ذِكْرُهُ. قال أبو عبد الله: «وفي هذا دليل أن

(١) رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد صـ٨١.

(٢) رواه البخاري (٤٧٤١).

(٣) (صحيح): رواه أحمد (٣/ ٤٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، وفي خلق أفعال العباد (٣٣٩)، وجزم به تعليقًا في صحيحه (٨/ ١٩٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٤)، وغيرهم، وصححه الألباني في ظلال الجنة.

(٤) (صحيح): سيأتي تخريجه.

(٥) طبقات الحنابلة (١/ ٤١٥).

صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله جل ذكره يُسْمِعُ مَنْ بَعُدَ كما يُسْمِعُ مَنْ قَرُبَ، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادىٰ الملائكة لم يصعقوا.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، فليس لصفة الله ند ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين»[١].

وقال البربهاري (٣٢٩هـ): «والإيمان بأن الله تبارك وتعالىٰ هو الذي كلم موسىٰ بن عمران يوم الطور، وموسىٰ يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره، فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم»[٢].

وقال أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (٦٠٠هـ): «ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة: عين كلام الله عَزَّوَجَلَّ، لا حكاية ولا عبارة...، ومن أنكر أن يكون حروفًا فقد كابر العيان وأتىٰ بالبهتان».

ثم ساق الأدلة إلىٰ أن قال: «وقول القائل: بأن الحرف والصوت لا يكون إلَّا من مخارج: باطل ومحال. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، وكذلك قوله تعالىٰ إخبارًا عن السماء والأرض أنهما قالتا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فحصل القول من غير مخارج ولا أدوات»[٣].

وقال القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي (٧٩٢هـ): «وتاسعها: أنه تعالىٰ لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتىٰ شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يُسمع، وإن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المُعَيَّنُ قديمًا، وهو

---

(١) خلق أفعال العباد صـ١٣٧.

(٢) شرح السنة صـ٩٠.

(٣) عقائد أئمة السلف (٩٨، ١٠٤).

المأثور عن أئمة الحديث والسُّنَّة»(١).

وقال الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن الفارس (١٤٠٣هـ): «ومذهب أهل التوحيد والسُّنَّة أن الله يتكلم بحرف وصوت، وأن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، وأن موسىٰ سمع كلام الله منه بلا واسطة، والقرآن والسُّنَّة يدلان علىٰ ذلك دلالة صريحة، ولله الحمد والمنة»(٢).

* * *

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٦٨).

(٢) كتاب «علماء آل فارس في الكويت» لفارس الفارس صـ١٣٣.

وانظر كتاب الأشاعرة في ميزان أهل السنة لفيصل بن قزار الجاسم صـ(٤٦٧، ٤٨٢).

ترجمة الإمام النووي

نسبه:

هو الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا يحيىٰ ابن الشيخ الزاهد الورع أبي يحيىٰ بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حِزام - بالحاء المهملة والراء المعجمة - الحزامي النووي.

وأما نسبة «الحِزَامي» فهي إلىٰ جده المذكور «حزام»، وذكر أن بعض أجداد الشيخ كانوا يزعمون أنها نسبة إلىٰ الصحابي الجليل حزام أبي حكيم رضي الله عنه، وهذا غلط كما بينه ابن العطار في ترجمة الإمام النووي، بل حزام هو جده، نزل في الجولان بقرية «نوىٰ» علىٰ عادة العرب، فأقام بها ورزقه الله ذرية إلىٰ أن صار منهم خلق كثير.

ولد الإمام النووي في المحرم سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة بنوىٰ، وكان أبوه من أهلها المستوطنين بها.

وذكر الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي أنه رأىٰ الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين بنوىٰ والصبيان يُكْرِهونه علىٰ اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته، وجعله أبوه في دكان، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن فأوصيته به، وقلت له: هذا الصبيُّ يرجىٰ أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي: أمنجمٌ أنت؟! قلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده، فحرص عليه إلىٰ أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام.

وقال ابن العطار (ت٧٢٤هـ): «قال لي الشيخ: فلما كان عمري تسع عشرة

سنة قدم بي والدي إلىٰ دمشق في سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرَّواحيَّة، بقيت نحو سنتين لم أضع جنبي علىٰ الأرض، وكان قوتي فيها جراية المدرسة لا غير».

وكان رحمه الله تعالىٰ لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة، وقوته من قبل الده يجري عليه في الشهر الشيء الطفيف.

ودرَّس بدار الحديث الأشرفية وغيرها، ولم يتناول فلسًا واحدًا، ولا انتقل من ته الذي في الرَّواحيَّة، وهو بيتٌ لطيف عجيب الحال، وكان لا يشرب إلا مرة احدة عند السحر، وما أكل شيئًا من فاكهة دمشق، ولا قبل من أحدٍ شيئًا.

طلبه للعلم واجتهاده فيه:

تميز رَحِمَهُ اللَّهُ منذ صغره بحرصه علىٰ العلم وتحصيله، واهتمامه به، وفهمه، حفظه للقرآن وحبه.

ومن ذلك حفظه كتاب «التنبيه في فروع الشافعية» في أربعة أشهر ونصف، حفظه ربع العبادات من «المهذب» وملازمته للشيخ كمال الدين بن أحمد المغربي، هو ابن تسع عشرة سنة.

وكان رحمه الله تعالىٰ شغوفًا بالعلم، لا يضيع شيئًا من وقته، يقول ابن العطار عنه: «ذكر لي شيخنا رحمه الله تعالىٰ أنه كان لا يضيع له وقتٌ في ليل ولا نهار، حتىٰ الطريق، وإنه دام علىٰ هذا ست سنين، ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة قول الحق».

وكان الشيخ أيام طلبه يحضر في اليوم الواحد علىٰ اثني عشر شيخًا، يقول عن نفسه: «كنت أقرأ كلَّ يوم اثني عشر درسًا علىٰ المشايخ؛ شرحًا وتصحيحًا: درسين «الوسيط»، ودرسًا في «المهذب»، ودرسًا في «الجمع بين الصحيحين»، ودرسًا «صحيح مسلم»، ودرسًا في «اللمع» لابن جنِّي في النحو، ودرسًا في «إصلاح

المنطق» لابن السِّكِّت في اللغة، ودرسًا في التصريف، ودرسًا في أصول الفقه وتار
في «اللمع» لأبي إسحاق، وتارة في «المنتخب» لفخر الرازي، ودرسًا في أسم
الرجال، ودرسًا في أصول الدين، وكنت أعلق جميع ما يتعلق به، وشرح مشكل
ووضوح عبارة، وضبط لغة...» إلىٰ أن قال: «وبارك الله لي في وقتي واشتغال
وأعانني عليه».

شيوخه:

سمع من الكثير من المشايخ والعلماء، ومنهم: محمد بن أحمد المقدسي، وه
أجل شيوخه، وسمع من إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر، وأحمد بن
عبد الدائم، وخالد النَّابلسي، وعبد العزيز الحموي الأنصاري، والحسن بن محم
البكري، وعبد الكريم بن عبد الصمد، وعبد الرحمن الأنباري، وإبراهيم بن علي
الواسطي، وغيرهم.

تلاميذه:

سمع منه خلق كثير من العلماء والحفَّاظ، وتخرج به خلق كثير من الفقهاء
وسار علمُهُ وفتاويه في الآفاق، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ:

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي، وأبو الحجاج
يوسف بن عبد الرحمن الدمشقي المعروف بالحافظ المزي، ومحمد بن أبي الفتح
البعلبكي، وأحمد بن فرح اللخمي الإشبيلي، وغيرهم كثير.

مؤلفاته:

ألف النووي في علوم شتىٰ، وانتفع الناس بها في سائر البلاد الإسلامية،
وأكبُّوا علىٰ تحصيل تواليفه، حتىٰ من كان له مبغضًا في حال حياته كان مجتهدًا في
تحصيلها بعد مماته، فرحمه الله رحمة واسعة، ومن مؤلفاته ما يلي:

١ – «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» طبع عدة طبعات.

٢ – «الإشارات إلىٰ بيان الأسماء المبهمات» طبع في الهند سنة (١٣٤٠هـ).

٣ – «رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين» طبع عدة طبعات وهو أشهر كتبه علىٰ الإطلاق.

٤ – «الأذكار من كلام سيد الأبرار» طبع عدة طبعات.

٥ – «الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام» وهو المعروف بـ«الأربعين النووية» طبع عدة طبعات.

٦ – «التيسير في مختصر الإرشاد في علوم الحديث» طبع عدة طبعات.

٧ – «التبيان في آداب حملة القرآن» طبع عدة طبعات.

٨ – «مختصر التبيان في آداب حملة القرآن» واسمه «مختار البيان» منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الظاهرية بدمشق برقم (٦٨٣٩).

٩ – «إرشاد طلاب الحقائق إلىٰ معرفة سنن خير الخلائق» طبع بمكتبة الإيمان بالمدينة النبوية سنة (١٤٠٨هـ) وغير ذلك.

وهناك كتب ابتدأها ولم يتمها – عاجلته المنية –:

١ – «المجموع شرح المهذب للشيرازي إلىٰ باب المصرة» ثم قام الإمام السبكي بإكماله ولكنه لم يتمه، ثم جاء بعده الشيخ محمد نجيب المطيعي فأتمه، فكمل الكتاب وطبع في ثلاثة وعشرين مجلدًا، وكان من آخر طبعاته وأجودها طبعة دار إحياء التراث سنة ١٤١٥هـ.

٢ – «جامع السنة» ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص١٤)، وقال: «شرع في أواله وكتب دون كراسة» وعدها بعضهم من الكتب المفقودة.

٣ – «شرح التنبيه» ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (ص١٣)، وقال:

«وصل فيه إلىٰ أثناء باب الحيض..».

٤- «شرح الوسيط»، قال الإسنوي: «وصل فيه إلىٰ شروط الصلاة».

٥- «شرح البخاري» ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (صـ١٣) وقال: «انتهىٰ فيه إلىٰ كتاب العلم وسماه: «التلخيص».

٦- «شرح سنن أبي داود»، ذكره السخاوي في ترجمة الإمام النووي (صـ١٢) وقال: «وصل فيه إلىٰ أثناء الوضوء، سماه «الإيجاز»، وسمعت أن زاهد عصر الشهاب ابن رسلان أودعها برمتها في شرحه علىٰ السنن وبنىٰ عليها». وغير ذلك.

ثناء العلماء عليه:

أثنىٰ عليه كثير من العلماء، وأقروا له بالإمامة والحفظ، ومعرفة الحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم:

قال ابن العطار رحمه الله تعالىٰ (ت: ٧٢٤هـ): «كان محققًا في علمه وفنونه، مدققًا في علمه وكل شؤونه، حافظًا لحديث رسول الله ﷺ، عارفًا بأنواعه كلها من صحيحه وسقيمه وغريب ألفاظه وصحيح معانيه واستنباط فقهه، حافظًا لمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين، واختلاف العلماء ووفاقهم وإجماعهم، وما اشتهر من ذلك جميعه وما هجر، سالكًا في ذلك كله ذكر طريقة السلف، قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل، فبعضها للتصنيف، وبعضها للتعليم، وبعضها للصلاة، وبعضها للتلاوة، وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» اهـ.

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالىٰ (ت: ٧٤٨هـ): «الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علىٰ الأولياء صاحب التصانيف النافعة» اهـ.

وقال السبكي رحمه الله تعالىٰ (ت: ٧٧١هـ): «شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين،

حجة الله على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين، كان يحيى رحمه الله سيدًا حصورًا، وليثًا على النفس هصورًا، وزاهدًا لم يبالِ بخراب الدنيا إذا صير دينه ا معمورًا، له الزهد والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة، صابرة على أنواع الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في ناف العلوم فقهًا ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وصرفًا وغير ذلك».

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى (ت: ٧٧٤هـ): «العالم العلامة شيخ هب وكبير الفقهاء في زمانه».

وفاته:

توفي الإمام يحيى بن شرف الدين النووي رحمه الله تعالى ليلة الأربعاء في ابع والعشرين من رجب، سنة ست وسبعين وستمائة، ودفن ببلده، رحمه الله ة واسعة[1].

* * *

ينظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٣٩٥)، والمنهل العذب الروي (صـ٤)، وتحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين صـ(٣٧)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٩٤)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٧٤)، وشذرات الذهب (٦/ ٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الحافظ الورع إمام الشافعية في وقته محيي الدين أبو زكريا يحيىٰ بن شرف بن مُرِّي النواوي، تغمده الله برحمته ورضوانه[(١)]:

الحمد لله المقدس عن مماثلة المحدثات، المتعالي عن النقائص والمتغيرات، المدعو بأنواع الألسن وأصناف اللغات، لا إله إلا هو خالق الأرض والسموات، أحمده علىٰ ما أهدىٰ من المنح ومنح من الهدايات، وأصلي علىٰ أنبيائه الذين طهروا الأرض من الضلالات، خصوصًا علىٰ المبعوث آخر الرسالات، المؤيد بالمعجزات الباهرات والآيات البينات، المشفع في الميقات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه وذريته وتابعيهم صلاةً دائمةً مع الآناء والأوقات.

وبعد: فلما ظهرت الشكوك والشبهات، وكثرت المطاعن والتمويهات، وانتشرت مقالة ذوي الأهواء والتعصبات، وعمت بها البلوىٰ في جميع الأقطار والجهات؛ سألني مَنْ إِجَابَتُهُ مِنَ الواجبات وإسعافُهُ مِنْ أعظم المثوبات أن أجمع له زبد أقوال المتقدمين، وغاية ما عولوا عليه من الاعتقاد في الحروف والأصوات،

---

(١) في نسخة دار الكتب: كتاب الزبد مما جمعه الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام مفتي الأنام محيي الدين يحيىٰ بن شرف النواوي، تغمده الله بالرحمة والرضوان من كتاب الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان الشافعي الأرموي ﷺ مما جمعه في كتابه غاية المرام في مسألة الكلام، وكلام الخصم والرد عليه والجواب.

ومن كتابه المعروف بالتبيان للشيخ محيي الدين نفع الله به.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المقدس عن مماثلة المحدثات.......

ما نقل عنهم في ذلك من الاختلافات، والتنصيص علىٰ ما ذهب إليه علماء
شرع ونقلة الأحاديث الثقات؛ سالكًا في ذلك طرق متأخري المتكلمين في
باحثات، جاريًا علىٰ قواعد أهل[1] النظر والمجادلات[2]، مختصرًا لفظه بأوضح
عبارات الوجيزات، من غير تعصبٍ وميلٍ، بل رغبة في إظهار الحق ونصرة لما
لف عليه الصحابة والتابعون[3] رضي الله عنهم أجمعين، وجمعنا وإياهم في دار كرامته
سائر أحبابنا ومشايخنا وإخواننا، إنه أجود الأجودين وأرحم الراحمين.

وأروي له ما ثبت به النقل عن سيد المرسلين، وأشرف خلق الله من الأولين
لآخرين، محمد بن عبد الله رسول رب العالمين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ سائر النبيين
آل كلٍّ وسائر الصالحين، فجاء هذا المختصر بحمد الله أنيسًا للحاضر، وجليسًا
ناظر، وقسمته بحمد الله فصولًا مشتملة علىٰ فنون من القواعد، ونفائس من
عقائد، مما جمعته من كتب العلوم، ومما أودعته من كتابنا المعروف بكتاب «التبيان
آداب حملة القرآن»، وغير ذلك، وعلىٰ الله اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي،
تصمت بالله، توكلت علىٰ الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ويشتمل هذا المختصر على قسمين:

القسم الأول: في ذكر ما ننقله عن الشيخ الجليل الإمام المتقن الحافظ الأوحد
خر الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن عثمان بن الأرموي الشافعي[4] رضي الله عنه

(١) في نسخة دار الكتب: [أصحاب].
(٢) في نسخة دار الكتب: [والمحاورات].
(٣) في نسخة دار الكتب: [والتابعين].
(٤) في نسخة دار الكتب: [الشافعي الأرموي].

فيما صنفه في كتابه الموسوم بـ«غاية المرام في مسألة الكلام».

والقسم الثاني: فيما وضعته في كتابنا الموسوم بكتاب «التبيان».

* * *

القسم الأول

قال الشيخ أبو العباس في كتابه:

(فصل في الحروف): اعلم أن العلماء اختلفوا في الحروف هل هي قديمة في القرآن أو مطلقًا؟

فذهب قوم إلىٰ القدم مطلقًا إذ قدمها في صورة دون صورة تناقض محض.

وذهب قوم إلىٰ قدمها في القرآن فقط.

وذهب قوم إلىٰ قدم حروف قائمة بهذه الحروف المرتبة.

والذي يدل على قدم الحروف على الإطلاق من كتاب الله تعالى وجوه:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾.

[الرحمن: ١ - ٤]

فرّق بين ما خلق وبين ما علم، فلو لم يكن ما علمه غير مخلوق وإلا لما كان لتخصيص أحدهما بالخلق دون الآخر فائدة.

والمراد بالبيان الحروف والكلام العربي في قول أهل التفسير.

الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة ٣١]، وثبت بما تقدم إنما[1] علمه غير مخلوق.

وذكر أهل التفسير أن الله تعالىٰ لما أمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ، قالوا: كيف نسجد لمن نحن أعلم منه؟ فأظهر الله لهم أشباح المخلوقات كلها علىٰ وجه

---

(١) في نسخة دار الكتب: [أنَّ].

الماء، وقال لهم: إن كنتم أعلم من آدم فأنبئوني بأسماء هؤلاء. فرجعوا إلىٰ الاستغفار، وقالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، فأنزل الله عز وجل علىٰ آدم تسعة وعشرين حرفًا، وألهمه أن وضع علىٰ كل شخص اسمًا فلفق الحروف بعضها إلىٰ بعض، فقال: هذا شاة، وهذا بعير، وهذا فرس، إلىٰ أن سَمَّىٰ جميع المخلوقات التي ستوجد»[1].

الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾.

[العلق: ٣ - ٥]

وهذا نصّ علىٰ أن ما يكون بالقلم، تعليمه سبحانه وتعالىٰ، وثبت بما تقدم أن ما هو تعليمه غير مخلوق، والتعليم بالقلم ليس إلا الحروف.

الرابع: هذه الحروف من علم الله؛ لما سبق، ولقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أخبر تعالىٰ أنه علم الكاتب الكتابة، والكتابة ليست إلا الحروف، وعلمه غير مخلوق بالإجماع.

الخامس: في القرآن آيتان جمعتا حروف المعجم:

إحداهما: في سورة «آل عمران» وهي قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

والثانية: آخر سورة «الفتح».

فمن زعم أن الحروف مخلوقة فقد صرّح بحدث الكتب المنزلة علىٰ الأنبياء من إله السماء.

السادس: لما اقتضت الحكمة الإلهية إثبات ما هو كائن في اللوح المحفوظ دلّ

---

(١) انظر تفسير عبد الرزاق (١/ ٤٣) في سنده مجهول.

ذلك علىٰ قدم الحروف، إذ لو لم تكن قديمة لكان ثَمّ شيء خارج عن علمه تعالىٰ، وذلك محال.

ويدل على قدمها من حديث رسول الله ﷺ وجوه:

الأول: ما رواه عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ عن ألف[1] ب ت ث إلىٰ آخرها، فقال: «**الألف من اسم الله الذي هو الله، والباء من اسم الله الذي هو الباري**»[2].

فاشتق لكل حرف حرفًا من صفات الله إلىٰ آخر الحروف، والسر فيه أن هذه الحروف مباني كتب الله المنزلة بالألسن المختلفة، ومباني صفاته القديمة وأسمائه الحسنىٰ، فالقول بحدوثها يوجب تطرق الحدوث إلىٰ ذلك، وقدمها ثابت بالإجماع.

الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبىٰ لأمة ينزل عليها هذا، طوبىٰ لأجواف يوعىٰ فيها هذا، طوبىٰ لألسنة تتكلم بهذا**»[3].

---

(١) في نسخة دار الكتب: [أ].

(٢) لم أقف عليه.

(٣) (سنده ضعيف جدًا ومتنه منكر): رواه الطبراني في الأوسط (٤٨٧٦)، والدارمي في سننه (٣٤١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٥٠)، وفي الأسماء والصفات (٢٣٢)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٣٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٩٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٦٨)، وابن أبي زمنين في أصول السنة (٩)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢١٨)، وقال بعد أن ذكره:

«وإبراهيم بن مهاجر لم أجد له حديثًا أنكر من حديث «قرأ طه ويس» لأنه لم يروه إلا إبراهيم بن مهاجر، ولا يروي بهذا الإسناد ولا بغير هذا الإسناد هذا المتن إلا إبراهيم بن مهاجر هذا وباقي أحاديثه صالحة» اهـ.

ورواه ابن حبان في المجروحين (١/ ١٠٨)، وقال: «هذا متن موضوع».

ورواه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١١٠)، وقال: «هذا حديث موضوع».

وتعقبهما ابن حجر في أطراف العشرة فقال:

=

وهذا صريح في تقدم الحروف قبل آدم، والخصم لا يقول بذلك فيصير محجوجًا.

الثالث: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ناجىٰ موسىٰ بمائة ألف كلمة**»[1].

فأثبت الله تعالىٰ المناجاة بهذه الكلمات، والكلمات حقيقتها لا تعقل إلا بالحروف، واتصاف الباري بما هو من لوازم المحدثات محال، تعالىٰ الله عن الحدث[2] علوًّا كبيرًا.

والذي يدل على قدم الحروف من كلام العلماء وأخبار السلف

«زعم ابن حبان وتبعه ابن الجوزي أن هذا المتن موضوع، وليس كما قالا، فإن مولىٰ الحرقة هو عبد الرحمن بن يعقوب، من رجال مسلم، والراوي عنه وإن كان متروكًا عند الأكثر ضعيفًا عند البعض فلم ينسب للوضع، والراوي عنه لا بأس به وهو إبراهيم بن المنذر» اهـ.

قلت: وإبراهيم بن مهاجر بن مسمار المدني؛ قال البخاري: «منكر الحديث». وقال النسائي: «ضعيف». وقال ابن حبان: «منكر الحديث جدًّا». انظر الميزان (١/ ٦٧) ترجمة رقم (٢٢٤).

وفيه أيضًا: عمر بن حفص بن ذكوان؛ قال الإمام أحمد: «تركنا حديثه وحرقناه». وقال النسائي: «متروك الحديث». وقال الدارقطني: «ضعيف وهو آفة الحديث». انظر الميزان (٣/ ١٨٩)، والمغني (٢/ ٣٦).

والحديث قال فيه الألباني في الضعيفة (١٢٤٨): «وهذا متن موضوع كما قال ابن حبان وإسناده ضعيف جدًّا..».

طوبىٰ: اسمُ الجنَّة، وقيل: هي شَجَرَةٌ فيها، وأصلها: فُعْلىٰ من الطيب، فلما ضُمَّتِ الطاءُ انقلبت الياء واوًا. النهاية (٣/ ٣١٨) مادة (طوب).

(١) (ضعيف جدًّا): رواه الطبراني (١٢/ ١٢٠/ ١٢٦٥٠)، وفي الأوسط (٣٩٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٢٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٨)، والنجاد في الرد علىٰ من يقول: القرآن مخلوق (١٤)، والآجري في الشريعة (٦٩٣)، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٢٢٧)، وابن أبي الدنيا في الزهد (١٩٨)، وفي ذم الدنيا (١١٣).

وآفته: الضحاك، وهو ابن مزاحم، صدوق كثير الإرسال، لم يدرك ابن عباس.

انظر التقريب (١/ ٣٧٣)، والتهذيب (٤/ ٤٥٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٧).

وفيه: جويبر، وهو ابن سعيد الأزدي، ضعيف جدًّا، كما قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٧٢)، وقال الدارقطني: «متروك». انظر التقريب (١/ ١٣٦)، والتهذيب (٢/ ١٣٢)، والمغني (١/ ١٣٨).

وفيه: عمرو بن هاشم، أبو مالك الجنبي الكوفي، ليِّن الحديث، أفرط فيه ابن حبان، التقريب (٢/ ٨٠)، والتهذيب (٨/ ١١١).

وقال ابن حجر في الأربعين المتباينة (صـ٩٨) بعد أن ذكره: «هو غير ثابت»، وقال الألباني في الضعيفة (٥٢٥٨)، وضعيف الترغيب (١٨٦٩): «ضعيف جدًّا».

(٢) في نسخة دار الكتب: [الحدوث].

صلحاء وجوه:

الأول: ما نقل عن الإمام أحمد رضي الله عنه[١] في رسالته إلىٰ أهل نيسابور وجرجان قال: «من زعم أن حروف الهجىٰ[٢] مخلوقة فهو كافر؛ لأنه سلك طريقًا إلىٰ بدعة؛ لأنه متىٰ حكم بأنها مخلوقة فقد حكم بأن القرآن مخلوق، ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر».

ونقل عنه أيضًا رحمه الله أنه قال فيمن حلف لا يتكلم، فقرأ القرآن: أنه لا يحنث، ولو كانت مخلوقة لحنث بالقياس علىٰ غيرها.

الثاني: ما روي عن أبي القاسم عبد الرحمن بن منده رحمه الله أنه قال: «من زعم حرفًا من حروف الهجىٰ[٣] مخلوق فهو جهمي».

الثالث: ما روي عن القاضي أبي علي محمد بن أحمد بن أبي موسىٰ الهاشمي رحمه الله أنه قال: «أدركت مشايخ المذهب كلهم من أهل طبرستان وأصبهان والشام والجزيرة وهم يعتقدون أن الحروف غير مخلوقة، فمن ادعىٰ عليهم غير ذلك فهو كذاب مفتري».

الرابع: قال البخاري رحمه الله، كان يحيىٰ بن سعيد القطان [أنه قال][٤]: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة[٥][٦].

---

(١) في نسخة دار الكتب: [رحمه الله].

(٢) في نسخة دار الكتب: [التهجي].

(٣) في نسخة دار الكتب: [التهجي].

(٤) في نسخة دار الكتب: [كان يحيىٰ بن سعيد يقول].

(٥) الذي عند البيهقي في الأسماء والصفات منسوبًا إلىٰ البخاري دون واسطة.

(٦) الذي في الأسماء والصفات إلىٰ البخاري دون واسطة.

قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم، فأما القرآن المتلو المكتوب في المصاحف الموعىٰ في الصدور فهو كلام الله ليس مخلوق[١]، قال تعالىٰ[٢]: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]»[٣].

الخامس: ما روي عن ابن المبارك رحمه الله أنه قال: «الورق والمداد مخلوق، فأما القرآن فليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل»[٤].

وروي عن إسحاق بن راهويه نحو ما ذكرنا[٥].

قلت: فإشارات هؤلاء السادة الفضلاء والأئمة العلماء رحمهم الله إلىٰ الاحتراز عن القول بحدوث الحروف؛ صيانة الكلام[٦] العزيز عن تطرق الحدوث إليه بوجه من الوجوه، فلا سبيل إلىٰ الخروج عما اعتقدوه، فهم القدوة للإسلام والأنجم في الظلام.

وأما ما نقل عن أصحاب السير والأخبار:

فقد نقل عن ابن قتيبة في كتاب «المعارف» أن الله تعالىٰ عوض آدم عن ولده هابيل شيث، وأنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وأنزل عليه حروف المعجم في تسع وعشرين صحيفة.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [ليس بمخلوق].

(٢) في نسخة دار الكتب: [قال الله تعالىٰ].

(٣) (صحيح): رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٢٥) بسند صحيح، ورواه من طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٧٠)، وفي الاعتقاد صـ(١٠٥)، والخطيب في تاريخه (٢/ ٣١).

(٤) (صحيح): رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٥١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٧١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٢٦).

ورواه الخلال في السنة (١٩٣١، ٢٠٥٢) بنحوه.

(٥) (صحيح): رواه الآجري في الشريعة (١٨٦).

(٦) في نسخة دار الكتب: [للكلام].

وذكر ذلك النحاس في كتاب «الحروف»[١]، والمعتمد في قدم الحروف قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

و«كن» حرفان، وليس المراد معنىٰ «كن» إذ هو خروج عن صريح اللفظ،، ولكون المعنىٰ لو كان مقتضيًا الإيجاد لزم من ذلك قدم العالم، وهو محال، فلا يكون الأمر[٢] مقتضيًا، وحدوثها يستلزم إثبات حوادث لا أول لها، وهو محال، فلا بد من الاعتراف بكون «كن» قديمة رفعًا لهذا التسلسل، وإذا ثبت ذلك في «كن» ثبت في الجميع لعدم القائل.

فالفصل: لا يقال هي متأخرة في الآية فتكون محدثة ضرورة كون المتأخر محدثًا لأنا نقول: ذلك تأخر لفظي لا يتحقق إلا في الخارج وهو غير مشعر بالحدوث، فإنه يقال في صفات الله تعالىٰ: حي، عالم، سميع، بصير، مع قدم الجميع بالاتفاق، لا يقال: يلزم علىٰ هذا أن تكون المعاصي مأمورًا بها لكونها مرادة لله تعالىٰ فتكون مندرجة تحت «كن» لأنا نقول: يكون مأمورًا بها من حيث إنَّها مرادة[٣]، وغير مأمور بها لكنها[٤] معصية، فإنا لو جعلنا التكوين واقعًا بنفس الإرادة لزم منه قدم العالم، ولا يلزم ذلك في «كن» إذ وجودها غير موجب، بل الموجب هو تعلق «كن» بالمراد بالقول المذكور في الآية إذ لو لم يكن كذلك لخرج ذكر القول في الآية عبثًا، والبارئ تعالىٰ منزه عن ذلك، والاعتماد في قدم الحروف يظهر في دليل المسألة بالاستنتاج الصحيح، فليتأمل ذلك، ففيه الكفاية والغنية للمستبصر بنور

---

(١) في نسخة دار الكتب: [في كتابه التاريخ].

(٢) في نسخة دار الكتب: [المعنىٰ].

(٣) في نسخة دار الكتب: [مراده].

(٤) في نسخة دار الكتب: [لكونها].

العلم المستضيء بضياء الشرع.

لا يقال يلزم علىٰ ما ذكرتم من قدم الحروف، قدم كل ما يتخاطب به الناس في معايشهم وأمورهم ضرورة عدم انفكاك الحروف عن جميع ذلك؛ لأنا نجيب من وجهين:

أحدهما: أن الحروف التي يصدق عليها أنها قديمة وقعت تبعًا لما يتخاطب به الناس، ولما هو كسبهم ومقدورهم، فلا جرم لم يجبر فيها أحكام القرآن، بل اكتسبت من متبوعها حكمه، ولا يقدح ذلك في قدمها، وهذا كما نقول في التفسير وكتب الفقه[1] لما وقع القرآن[2] تبعًا لما فيها اكتسب حكمها، وكما أن الحبر والمداد اكتسب بوقوعه تبعًا لكتاب الله تعالىٰ التعظيم[3] والاحترام مع أنه في نفسه محدث بالإجماع، فكذلك فيما نحن فيه اكتسب عكس ذلك للتبعية مع أن حقيقته لم تتغير، بل التغير يقع لأمور خارجة عارضة، فهو بمثابة سكين قطعت بها مسكًا وعنبرًا فطاب ريحها، ثم قطعت بها بصلًا فاكتسبت ضد تلك الرائحة، مع أن جوهر السكين غير مختلف.

الثاني: الحروف كونها منطوقًا بها يخالف كونها غير منطوق بها وما به الموافقة غير ما به المخالفة.

وحينئذٍ لا تنافي بين قدم ما به الموافقة وحدوث ما به المخالفة ضرورة كونهما غيرين، وقد أشرنا إلىٰ هذا في صدر هذا الفصل علىٰ أنا نقول: قضية الدليل أن يجري في الجميع أحكام القرآن، ولكن لما تعذر ذلك علىٰ الناس، إذ ليس في القوىٰ

---

(١) في نسخة دار الكتب: [في كتب التفسير والفقه].

(٢) في نسخة دار الكتب: [لما وقع في القرآن تبعًا لما فيها اكتسب].

(٣) في نسخة دار الكتب: [لكلام الله التعظيم].

لبشرية الاحتراز عند التخاطب والتكالم عن الحروف، ولا يمكن إطباق جميع الخلق على السكوت أو استعمال الإشارات العقلية، فلا جرم سقط حكمه لهذه الضرورة.

دقيقة: اعلم إن جريان اليد بالقلم والمداد ونحن[١] الخط ودقته، وسقمه وجودته، واعوجاجه واستقامته، كل ذلك محدث، والحروف التي[٢] يتضمنه هذا المجموع قديم، وكذلك نقول في الصوت حركة اللسان والشفة، وصفاء الحنجرة وخشونتها، وغلظها ودقتها، والإسرار والإجهار، كل ذلك أيضًا محدث؛ لأن هذه الأمور بأسرها من كسب الآدمي ومقدوره بإجراء الله تعالىٰ العادة في ذلك كذلك، والذي يسمع عند تحقق هذا المجموع فهو الكلام القديم وقد أشار إلىٰ هذا الإمام أحمد رضي الله عنه فيما رواه ابناه صالح وعبد الله في كتاب «المحنة» أنه قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو ضال مبتدع، وقائل بما لم يقل به أحد من سلف الأمة»[٣].

فقد تلخص في هذه المقدمة حقيقة الكلام والحروف وما قيل فيهما، فعند ذلك نشرع في المقصود وهو:

القسم الثاني

في تعيين محل النزاع، وذكر[٤] البرهان عليه، وإيراد الأسئلة والجواب عنها، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مسألة:

كلام الله ليس إلا الحروف والأصوات المفيدة لأمور الشرع المنزلة علىٰ النبي ﷺ

---

(١) في نسخة دار الكتب: [ونخن].

(٢) في نسخة دار الكتب: [والحرف الذي].

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٨٥)، وابن بطة في الإبانة (٢١٦٣) بنحوه بسند صحيح.

(٤) في نسخة دار الكتب: [ونذكر].

بنظم القرآن، وهو الموجود بين أظهرنا، الذي نتلوه بألسنتنا وتحفظه[١] أولادنا ونكتبه في مصاحفنا، وليس لله كلام سواه، هذا مذهبنا، وبه قال الإمام الشافعي رضي الله عنه علىٰ ما نقل عنه أنه قال: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر»[٢].

وكذلك سئل عن رجل حلف بالطلاق الثلاث لا تكلمت، فقرأ القرآن، هل يحنث؟ فقال: «لا يحنث؛ لأن القرآن كلام الله وليس بكلام الآدميين»[٣].

وقد نقلنا فيما سلف بعض ما نقل عن الإمام أحمد رضي الله عنه، وبه قال حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ويزيد بن هارون، وعبد الرحمن بن مهدي، وإسماعيل بن علية، وسفيان بن عيينة، ويوسف بن الماجشون، وغير هؤلاء من الأئمة والسادات من كبار العلماء والمحدثين، ممن يضيق هذا المختصر عن ذكرهم وتعدادهم.

وذهب أبو الحسن الأشعري وأتباعه كأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي بكر بن فورك، وأبي بكر الباقلاني، وأبي القاسم القشيري، وأبي القاسم الإسفراييني، وأبي محمد الجويني، وأبي سهل الصعلوكي، وغيرهم؛ إلىٰ أن هذه الحروف والأصوات التي نتلوها ويحفظها[٤] أولادنا ونرجع إليها في حلالنا وحرامنا، المنزلة علىٰ النبي ﷺ بنظم القرآن، محدثة وأنها عبارة ودلالة علىٰ الكلام القديم، ولم ينزل علىٰ النبي ﷺ كلام قديم.

ووجه البرهان علىٰ ما ادعيناه أن نقول كلام الله تعالىٰ منَزل، والمنزل ليس إلا الحرف والصوت[٥] ينتج أن كلام الله هو الحرف والصوت، فإذا أثبتنا أن كلام الله هو الحرف والصوت، وذكرنا الدليل علىٰ المقدمات، ثبت كونه قديمًا

---

(١) في نسخة دار الكتب: [ونُحفّظه].

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤٦٦) بسند صحيح.

(٣) ذكره البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٦٣)، وفي الاعتقاد (صـ١٠٤).

(٤) في نسخة دار الكتب: [ونحفّظها].

(٥) في نسخة دار الكتب: [الحروف والأصوات].

بالإجماع.

وبيان كونه منزلاً من وجهين:

أحدهما: الآيات، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٣]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر: ١]، ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [يوسف: ٢]، ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ۝٢٣﴾ [الإنسان: ٢٣]، ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وأمثال هذا كثير في الكتاب العزيز.

فهذه الإضمارات عائدة إلىٰ كلام الله تعالىٰ بالإجماع أو لضرورة عدم عودها إلىٰ غير كلام الله تعالىٰ.

والوجه الثاني: إجماع الصحابة واتفاقهم علىٰ أن كلام الله تعالىٰ منزل والذي يحقق ذلك تتبع جريانهم، وأن هذا الأمر كان مقررًا في عقائدهم جازمين[1]، إذ لو تطرق إلىٰ أحد منهم في ذلك شك أو شبهة لأزالوه بالسؤال للنبي ﷺ مع ما كانوا فيه من الحمية في الدين والاحتراز عن الوقوع في الجهالات، وحينئذ يعلم أن عدم سؤالهم مع كثرة إطلاق لفظ النزول فيما بينهم وانتظارهم ذلك من رسول الله ﷺ في وقائعهم دليل علىٰ إجماعهم واتفاقهم علىٰ أن كلام الله منزل علىٰ نبيه[2].

ونحن نشير إلىٰ جملة من تلك الوقائع التي يعسر إحصاؤها ليحصل الجزم

---

(١) في نسخة دار الكتب: [جازمين به].

(٢) زيادة من دار الكتب: [صلىٰ الله عليه وسلم].

بأنهم كانوا معتقدين ذلك:

فمن ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ الحديث في أول «صحيح البخاري»[١].

ومنها: ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: «أغفىٰ النبي ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسمًا، فإما قال، وإما قالوا: يا رسول الله، لِمَ ضحكت؟ قال: «**إنه أنزلت عليَّ آنفًا سورة**»، فقرأ[٢]: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ حتىٰ ختمها.

[رواه[٣] مسلم وأبو داود والنسائي][٤]

ومنها: ما روي عن عبد الحميد صاحب الزيادي، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال أبو جهل بن هشام: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[اتفق عليه البخاري ومسلم][٥]

ومنها: حديث الإفك، وقول عائشة رضي الله عنها: «ما كنت ظننت أن ينزل في شأني وحي يتلىٰ، ولأنا أصغر في نفسي أن يتكلم الله بالقرآن في أمري» الحديث بطوله، حتىٰ أنزلت عليه، فلما أنزل الله إلىٰ آخره. [اتفقا علىٰ صحته][٦].

---

(١) رواه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣)، قال: «أحيانًا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ، ثم يَفْصِمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُهُ، وأحيانًا مَلَكٌ في مثل صورة الرجل فَأَعِي ما يقول».

(٢) في نسخة دار الكتب: [فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم].

(٣) في نسخة دار الكتب: [اتفق عليه].

(٤) رواه مسلم (٤٠٠).

(٥) رواه البخاري (٤٦٤٩)، ومسلم (٢٧٩٦).

(٦) رواه البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠).

وعن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] قال: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه [اتفق عليه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي][١].

وعن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: أخذنا[٢] نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا[٣]: لو نعلم أي الأعمال أحب إلىٰ الله لعملناه، فأنزل تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾ [الصف: ١] حتىٰ ختمها [رواه[٤] أبو عيسىٰ الترمذي][٥].

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما، أنه قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتىٰ نزل القرآن: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] [أخرجه[٦] الترمذي والنسائي][٧].

وفي «جامع الترمذي» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي، سمع عند وجهه كدوي النحل»[٨].

---

(١) رواه البخاري (٤٥٢٩).

(٢) في نسخة دار الكتب: [قعدنا].

(٣) في نسخة دار الكتب: [فتذاكرنا فقلنا].

(٤) في نسخة دار الكتب: [أخرجه].

(٥) (صحيح): رواه الترمذي (٣٣٠٩)، والدارمي (٢٣٩٠)، وابن حبان (٤٥٩٤)، وأحمد (٥/ ٤٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٠٦)، وفي السنن الكبرىٰ (٩/ ١٦٠/ ١٨٢٨١)، والحاكم (٢/ ٧٨/ ٧٩/ ٢٤٨/ ٥٢٨).

قال البوصيري في إسناد أبي يعلىٰ في إتحاف الخيرة المهرة (٦/ ٩٥/ ٥٨٦١): «هذا إسناد رواته ثقات» اهـ.

وقال الألباني في التعليقات الحسان (٧/ ٥٧، ٥٨)، وصحيح موارد الظمآن (٣١٥): حسن صحيح.

(٦) في نسخة دار الكتب: [اتفق عليه].

(٧) رواه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥).

(٨) (ضعيف): رواه الترمذي (٣١٧٣)، وأحمد (١/ ٣٤)، وعبد بن حميد (١٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١٤٤٣)، =

وفيه أيضًا من حديث الصديق ﵁، قال: «كنت عند النبي ﷺ، فأنزلت هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]»[(١)].

وفي حديث البراء بن عازب ﵁، قال: «لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جاء ابن أم مكتوم وكان أعمىٰ، وجلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: كيف بمثلي وأنا ضرير. فنزل تلك الساعة: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]»[(٢)].

وفي حديث عبادة بن الصامت - وكان عقبيًا بدريًّا أحد نقباء الأنصار ﵁ -

---

=

وقال: «هذا حديث منكر لا نعلم أحدًا رواه غير يونس بن سليم، ويونس بن سليم لا نعرفه، والله أعلم» اهـ. وأقره ابن كثير علىٰ تضعيفه في تفسيره (٣/ ٣٨١).

قلت: ويونس بن سليم قال فيه الحافظ ابن حجر في التقريب (١/ ٦١٣): «مجهول». وانظر الجرح والتعديل (٩/ ٢٤٠).

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٢٠٨، ١٣٤٣)، والمشكاة (٤٩٤) التحقيق الثاني.

كدوي النحل: قال القاضي عياض: أي شدة الصوت وبعده في الهواء، فلا يفهم منه شيء. عون المعبود (٢/ ٣٩).

(١) **(صحيح بطرقه وشواهده)**: رواه أحمد (١/ ٦)، والبزار (٢١)، وأبو يعلىٰ (١٨)، وسنده ضعيف.

آفته: زياد الجصاص وهو ابن أبي زياد ضعيف جدًّا.

وعلي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف.

ومن طريق آخر رواه أحمد (١/ ١٨١)، والترمذي (٣٠٣٩)، والبغوي في شرح السنة (١٤٣٩)، وفي تفسيره (١/ ٧٠٤/ ح٧١٨) وسنده ضعيف أيضًا، آفته موسىٰ بن عبيدة الربذي ضعيف الحديث، ضعفه الترمذي ويحيىٰ بن سعيد وأحمد بن حنبل.

ومولىٰ بن سباع مجهول.

ومن طريق آخر رواه أحمد (١/ ١١)، وأبو يعلىٰ (٣٣، ٣٤)، والبيهقي في سننه (٣/ ٣٧٣)، وابن حبان (١٧٣٤)، والحاكم (٣/ ٧٤، ٧٥)، وسنده ضعيف أيضًا أبو بكر بن أبي زهير من صغار التابعين، لم يدرك أبا بكر، فالسند منقطع، ومع ذلك هو مستور.

وفي الباب عن عائشة رواه الطبري (٥/ ٢٩٥) بسند حسن في الشواهد.

وله طريق آخر عن عائشة رواه ابن حبان (٢٩٢٣) صححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (١٤٥٢)، وصححه كذلك شعيب الأرنؤوط.

فالحديث بطرقه وشواهده صحيح.

(٢) رواه البخاري (٢٨٣١)، ومسلم (١٨٩٨).

ن رسول الله ﷺ كان إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه، أنزل الله ذات يوم، فلقي ذلك فلما سري عنه، قال «خذوا عني»[(١)(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن اليهود قالوا للمسلمين: من أتى امرأة[(٣)] مدبرة جاء ولدها أحول. فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣][(٤)(٥)].

وعن ابن عباس[(٦)]، في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]، قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه السلام بالوحي، فكان مما يحرك به لسانه وشفتيه، فيشتد عليه، وكان يعرق منه، فأنزل الله هذه الآية[(٧)].

وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما، قالا: «مكث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشر سنين»[(٨)(٩)].

وعن مسروق، قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله

---

(١) في نسخة دار الكتب: [«خذوا عني» الحديث].

(٢) رواه مسلم (٢٣٣٤).

تربد له وجهه: قال النووي: أي: علته غبرة. والربد تغير البياض إلى السواد، وإنما حصل له ذلك لعظم موقع الوحي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ شرح مسلم للنووي (١١/ ١٩٠).

(٣) في نسخة دار الكتب: [امرأته].

(٤) زيادة من دار الكتب: [الآية].

(٥) رواه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥).

(٦) في نسخة دار الكتب: [عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما].

(٧) رواه البخاري (٤٩٢٩)، ومسلم (٤٤٨).

(٨) في نسخة دار الكتب: [أخرجه البخاري].

(٩) رواه البخاري (٤٤٦٤، ٤٤٦٥).

إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل ركبت إليه»[١].

وعن ابن إسحاق، قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وآخر سورة نزلت: «براءة»[٢].

وروي عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس[٣]، قال: «أول ما أنزل من القرآن بمكة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، إلىٰ قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ثم: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾، ثم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾، ثم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، ثم: ﴿تَبَّتْ﴾، ثم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ثم: ﴿سَبِّحِ﴾، ثم: ﴿وَاللَّيْلِ﴾، ثم: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ثم: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾، ثم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، ثم: ﴿وَالْعَصْرِ﴾، ثم: ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾، ثم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثم: ﴿الْكَوْثَرَ﴾، ثم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ﴾، ثم: «المعوذتين» علىٰ الاختلاف، ثم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم: ﴿وَالنَّجْمِ﴾، ثم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، ثم: ﴿وَالشَّمْسِ﴾، ثم: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، ثم: ﴿وَالتِّينِ﴾، ثم: ﴿لِإِيلَافِ﴾، ثم: ﴿الْقَارِعَةُ﴾، ثم: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ثم: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾، ثم: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾، ثم: ﴿أَرَأَيْتَ﴾، ثم: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾، ثم: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، ثم: «الأعراف»، ثم: ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾، ثم: ﴿يس﴾، ثم: «الفرقان»، ثم: «الملائكة»، ثم: ﴿كهيعص﴾، ثم: ﴿طه﴾، ثم: ﴿اقْتَرَبَتِ﴾، ثم: ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾، ثم: «الشعراء»، ثم: «النمل»، ثم: «القصص»، ثم: «بني إسرائيل»، ثم: «يونس»، ثم: «هود»، ثم: «يوسف»، ثم: «الحجر»، ثم: «الأنعام»، ثم: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾، ثم: «لقمان»، ثم: «سبأ»، ثم: «الزمر»، ثم: «حم المؤمن»، ثم: «حم السجدة»، ثم: ﴿حم ﴿١﴾ عسق﴾، ثم: «الزخرف»،

---

(١) رواه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣).

(٢) رواه البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٣) في نسخة دار الكتب: [رضي الله عنهما].

م: «الدخان»، ثم: «الجاثية»، ثم: «الأحقاف»، ثم: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾، ثم: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ﴾ علىٰ الاختلاف، ثم: ﴿الْغَاشِيَةِ﴾، ثم: «الكهف»، ثم: «النحل»، ثم: «نوح»، ثم: «إبراهيم»، ثم: «الأنبياء»، ثم: «المؤمنون»، ثم: «الم تنزيل السجدة»، ثم: ﴿وَالطُّورِ﴾، ثم: «الملك»، ثم: ﴿الْحَاقَّةُ﴾، ثم: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾، ثم: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، ثم: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾، ثم: ﴿انفَطَرَتْ﴾، ثم: ﴿انشَقَّتْ﴾، ثم: «الروم»، ثم: «العنكبوت»، ثم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

فهذه خمسة وثمانون موضعًا كلها مكية.

ثم أول ما نزل بالمدينة: «فاتحة الكتاب»، ثم: «البقرة»، ثم: «الأنفال»، ثم: «آل عمران»، ثم: «الأحزاب»، ثم: «الممتحنة»، ثم: «النساء»، ثم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، ثم: «الحديد»، ثم: «الصف»، ثم: سورة «محمد» ﷺ، ثم: «الرعد»، ثم: «الرحمن»، ثم: «الطلاق»، ثم: ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، ثم: «الحشر»، ثم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، ثم: «النور»، ثم: «الحج»، ثم: «المنافقون»، ثم: «المجادلة»، ثم: «الحجرات»، ثم: «التحريم»، ثم: «الجمعة»، ثم: «التغابن»، ثم: «الفتح»، ثم: «التوبة».

فهذه ثمانية وعشرون سورة مدنية[1].

وشيوع نزول كلام الله بل نزول كتبه أظهر من أن يحتاج إلىٰ إقامة الدليل عليه.

فقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم كتاب أنزل الله؟ قال: **مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل علىٰ آدم عشرة[2] صحائف، وعلىٰ شيث خمسين**

---

(١) رواه ابن الضريس في فضائل القرآن (١٧)، وسنده ضعيف، فيه عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أبو مسعود المقدسي ضعيف، انظر التقريب (١/ ٣٨٥)، ولسان الميزان (٣/ ٣٦).

(٢) في نسخة دار الكتب: [عشر].

صحيفة، وعلىٰ إدريس ثلاثين صحيفة، وعلىٰ إبراهيم عشر صحائف، وأنزل علىٰ موسىٰ التوراة، وعلىٰ داود الزبور، وعلىٰ عيسىٰ الإنجيل، وأنزل علىٰ نبيكم الفرقان(١)»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «نزلت التوراة علىٰ موسىٰ لست خلون من شهر رمضان، وأنزل الزبور علىٰ داود لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل علىٰ عيسىٰ لثمان عشرة خلت من شهر رمضان، وأنزل الفرقان(٣) جملة واحدة إلىٰ السماء الدنيا في ليلة القدر، وصحف إبراهيم أنزلت عليه في أول ليلة من شهر رمضان»(٤).

وروي عن مقاتل بن سليمان أنه قال: «أنزل الله الفرقان(٥) من اللوح المحفوظ

---

(١) في نسخة دار الكتب: [القرآن].

(٢) (ضعيف جدًّا): رواه ابن حبان (٣٦٢)، والشجري في أماليه (١/ ١٧٣)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٥٧/ ١٦٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٦٦٤)، والآجري في الأربعين حديثًا (٤٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦، ١٦٨)، وآفته إبراهيم بن هشام بن يحيىٰ الغساني؛ قال أبو زرعة: «كذاب». وقال الذهبي: «أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان فلم يصب» انظر الميزان (٤/ ٣٧٨).

وتابعه إسماعيل بن أبي زياد عن أبي سليمان الفلسطيني، عن القاسم بن محمد به، رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (١)، وإسماعيل بن أبي زياد متروك كذبوه، وأبو سليمان الفلسطيني مجهول.

قال الألباني في التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان (١/ ٣٨٧) ح (٣٦٢)، والضعيفة (١٩١٠): ضعيف جدًّا.

وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًّا.

(٣) في نسخة دار الكتب: [القرآن].

(٤) (حسن بطرقه): رواه ابن عساكر في تاريخه (٥/ ٢٠٢) عن ابن عباس مرفوعًا ولكنه منقطع.

ورواه أحمد (٤/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (١/ ٣١٠/ ١٦٤٩)، وابن جرير (٤٥١٢)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٨٥)، وفي الأوسط (٣٧٥٢)، والبيهقي في الكبرىٰ (٩/ ١٨٨)، وفي شعب الإيمان (٢٢٤٨)، وفي الأسماء والصفات (٤٩٤)، بسند قال عنه العلامة الألباني في الصحيحة (١٥٧٥): «وهذا إسناد حسن رجاله ثقات، وفي القطان كلام يسير، وله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعًا بنحوه، أخرجه ابن عساكر من طريق علي بن طلحة عنه، وهذا منقطع» اهـ.

(٥) في نسخة دار الكتب: [القرآن].

إلىٰ سماء الدنيا إلىٰ السفرة وهم الكتبة، فكان ينزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر ما ينزل به جبريل عليه السلام إلىٰ النبي ﷺ في السنة كلها إلىٰ مثلها من العام المقبل، حتىٰ نزل القرآن كله في ليلة القدر، ثم نزل به جبريل عليه السلام إلىٰ محمد ﷺ في الأيام، وقبضه جبريل من السفرة في عشرين شهرًا، وأدىٰ إلىٰ النبي ﷺ في عشرين سنة».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لقد أنزلت عليَّ آيات ما أنزلت**[(١)] **في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلهن، وهن فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني**»[(٢)].

وما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف»[(٣)]، فالمراد به علىٰ سبع لغات في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولهذا قال الشعبي: الحروف واحدة لكن المختلف لغات القوم.

وروي عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر رضي الله عنه يسير ليلًا معه، فسأل عمر عن شيء فلم يجبه، ثلاث مرات[(٤)] لا يجيبه، قال عمر: فتقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ، فسلمت عليه، فقال: «**لقد أنزل**[(٥)] **عليَّ الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١][(٦)].

---

(١) في نسخة دار الكتب: [أنزل].

(٢) (صحيح): رواه الترمذي (٣١٢٥)، والنسائي (٩١٤)، وابن حبان (٧٧٥)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٢/ ٣٧٥/ ٣٧٦٩)، وأحمد (٢/ ٣٥٧) (٥/ ١١٤)، والحاكم (١/ ٧٤٤)، (٢/ ٢٨٣) عن أبي بن كعب وأبي هريرة، بسند صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٣) رواه البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨).

(٤) في نسخة دار الكتب: [مرار].

(٥) في نسخة دار الكتب: [أنزلت].

(٦) رواه البخاري (٤١٧٧).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[١] [هود: ١١٤][٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «**ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا**» فنزل[٣]: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ [مريم: ٦٤][٤].

وعن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «**أي عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**». فقالا له: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فكان آخر ما تكلم به أن قال: على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**». فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الآية [التوبة: ١١٣][٥].

وعن ابن عمر[٦] رضي الله عنهما، قال: لما توفي عبد الله بن أُبَي، صلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، فأنزل الله عليه ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾ [التوبة: ٨٤][٧].

فعلم بمجموع هذه الأدلة[٨] أن نزول كلام الله على أنبيائه متفق عليه بين

---

(١) في نسخة دار الكتب: [الآية].

(٢) رواه البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣).

(٣) في نسخة دار الكتب: [فنزلت].

(٤) رواه البخاري (٤٧٣١).

(٥) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤١).

(٦) في نسخة دار الكتب: [وعن نافع عن ابن عمر].

(٧) رواه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠).

(٨) في نسخة دار الكتب: [الأمور].

فرق بأسرها، فمنكر ذلك يكون خارقًا للإجماع لا يعتد به، سيما من خرق إجماع الصحابة فيما هو من أصول الدين ودعائمه، فإنهم رضوان الله عليهم أجمعوا علىٰ ذلك من غير أن يخطر لهم حقيقة أو مجازًا في معنىٰ النزول، فإن هذا الأمر من أهم الأمور في الدين، وعليه بنيان قواعد شرائع المسلمين، فلما أهملوا ذلك ولم يعرضوا إليه؛ دل علىٰ اتفاقهم مع ما قلنا، ولا يمكن إطباق جميع الصحابة وهم حملة هذا العلم وأصول الدين[١] وأصحاب العربية واللسان والفصاحة علىٰ استعمال المجاز في صور لا تعد ولا تحصىٰ، فيصير هذا الإجماع كإجماع المسلمين علىٰ أن المدفون بيثرب في الحجرة المحجوج[٢] محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله حقًّا، وأن الناس بأسرهم إذا وصوله[٣] حيَّوه وسلموا عليه وتضرعوا بين يديه كأنهم شاهدوه عيانًا من غير أن يخطر لهم أن المدفون ثم روحه أم جسده أم المجموع، فاحتمال خطران هذا الخاطر لأحد من أصحاب الخيالات الفاسدة لا يقدم في أصل الإجماع، فكذلك توهم كون هذا المنقول حقيقة أو مجازًا لا يقدح في إجماع الصحابة علىٰ حقيقة الإنزال.

دليل آخر في بيان تحقيق الإجماع - بالنسبة إلىٰ جمهور الإسلام -: أن كلام الله منزل علىٰ نبيه ﷺ حقيقة: أنه لو قام شخص من الناس في أي زمان ومكان في محفل عظيم جامع للعلماء والفضلاء والأذكياء وقال بلسان وصوت عالٍ يسمعه الحاضر[٤] أن كلام الله منزل علىٰ نبيه محمد ﷺ، لما أنكر عليه أحد ولسارعوا إلىٰ

---

(١) في نسخة دار الكتب: [وأصوله والدين].

(٢) في نسخة دار الكتب: [المحجوج إليه].

(٣) في نسخة دار الكتب: [وصلوه].

(٤) في نسخة دار الكتب: [بلسان نفهمه وصوت عال يسمعه الحاضرون].

تصديقه، ولو عكس المقالة لسارعوا[١] عليه، ولتطابق عليه الناس إما علىٰ قتله، وإما علىٰ قلة عقله، وإما علىٰ تكفيره وجهله، ومن كابر هذا المقال فليجرب بنفسه هذا الحال ليختبر حينئذ المآل.

وشيء هو مقرر في أذهان العقلاء وعقائدهم علىٰ[٢] هذا الحد لا يكون جحده إلا مكابرة.

والعجب أن كتب الأشاعرة مشحونة بأن كلام الله منزل علىٰ نبيه، ومكتوب في المصاحف، ومتلو بالألسنة علىٰ الحقيقة، ثم يقولون: المنزل هو العبارة، والمكتوب غير الكتابة، والمتلو غير التلاوة، ويشرعون في مناقضات ظاهرة وتعقبات باردة ركيكة.

ويكفي في دحض هذا المعتقد كونهم لا يستطيعون علىٰ التصريح به بل هم فيه علىٰ نحو من المراء.

وسنبين في خاتمة الكتاب حقيقة الكلام في هذه المباحثات[٣] إن شاء الله تعالىٰ.

يعلم بما ذكرنا في الآيات والأخبار المتضمنة إجماع الصحابة وإجماع غيرهم من العلماء والعقلاء أن كلام الله القديم منزل علىٰ نبيه محمد ﷺ حقيقة لا مجازًا، والمنزل ليس إلا الحرف والصوت، إما بالإجماع أو لاستحالة نزول المعنىٰ القائم، فتعين أن يكون الحرف، والصوت هو كلام الله ضرورة انعقاد الإجماع علىٰ تحققه ونزوله، ويلزم من ذلك قدمه بالإجماع.

فإن قيل: نسلم أن كلام الله قديم، لكن لا نسلم كونه منزلًا، وما ذكرتم من الآيات والأخبار ودعوىٰ الإجماع، كل ذلك لا يدل علىٰ أن القديم منزل، بل يدل

---

(١) في نسخة دار الكتب: [لتسارعوا].

(٢) في نسخة دار الكتب: [إلىٰ].

(٣) في نسخة دار الكتب: [المجاذبات والمباحثات].

نْ نزول هذه العبارة عن ذلك القديم، وليس ذلك إلا عين مذهبنا، فإنا نسلم أن
بارة القديم ودلالته منزلة والكلام القديم عندنا غير ذلك وهو قائم بذات الله
الىٰ، ومستحيل نزوله، وجميع الإطلاقات الواردة في الآيات والأخبار كلها
طريق المجاز لفهم الله[1] منها، ولما استحال نزول القديم وورود التغيرات عليه؛
جب حمل النزول في هذه الإطلاقات علىٰ المجاز ليكون ذلك تقريرًا للقواعد
عقلية، ونسجًا علىٰ منوال اللغة في استعمال المجاز الصادف[2] عن الحقيقة، علىٰ
نقول الكلام علىٰ بطلان مذهبكم من عشرين وجهًا:

الأول: أن ما ذكرتم مخالف لبديهة العقل فيكون مردودًا لأنا نشاهد محالَّ هذه
حروف قبل تسطيرها خالية عنها، ثم بعد ذلك نشاهدها موجودة، والقديم
ستحيل بعد أن لم يكن.

الثاني: هذه الحروف يلازمها التركيب وهو من لوازم الأجسام ولازم
حدث محدث.

الثالث: يلزم تنجيس القديم فيما إذا كتب بالحبر النجس وقول ذلك قبح[3] في
إسلام.

الرابع: هذه الحروف المشاهدة في هذا المصحف المعين مثلًا إما أن تكون قديمة
لا، والأول يلزم منه تعدد القدماء، ضرورة أنها غيرها. والثاني هو مذهبنا.

الخامس: لو حلت الصفة القديمة بهذا المحل المعين، فإما أن تفارق ذات
بارئ أو لا، والأول يلزم منه خلو ذاته عن هذه الصفة، والثاني يلزم منه قيام

---

(١) في نسخة دار الكتب: [لفهم كلام الله].

(٢) في نسخة دار الكتب: [الصارف].

(٣) في نسخة دار الكتب: [هجن].

الشيء الواحد بالمحلين، وكل واحد منهما محال، فالحلول محال.

السادس: النصارىٰ لما أثبتوا علىٰ زعمهم حلول الكلمة القديمة في عيسىٰ كفرهم جميع المسلمين، وما صرتم إليه من المعتقد[١] أعظم من ذلك إذ هو حلول ما لا يحصىٰ ويعد من القدماء فيما لا يحصىٰ ويعد من المحدثات.

السابع: الباري تكلم بهذه الحروف دفعة أو التعاقب[٢] فإن كان الأول فالذي نسمعه عين كلام الله ضرورة كونه متعاقبًا، وإن كان الثاني فيكون محدثًا لأن الأول لما انقضىٰ وثبت عدمه امتنع قدمه.

الثامن: إذا كتب إنسان آية من القرآن في محل ثم محىٰ ما كتبه، فذلك المحو والانعدام إما أن يكون واردًا علىٰ القديم أو لا، والأول محال لما فيه من انعدام القديم، والمشاهدة الحسية توجب لنا القطع بورود المحو والانعدام علىٰ هذه الحروف، فيلزم أن لا تكون قديمة ضرورة لتحقق الانعدام فيها.

التاسع: مخارج الحروف معلومة عند[٣] سيبويه ستة عشر مخرجًا، للحلق منها ثلاثة مخارج لسبعة أحرف، فأقصاها مخرج الهمزة والألف والهاء، وأوسطها العين والحاء وأدناها إلىٰ الفم الغين والخاء، وحروف اللسان علىٰ أربعة أقسام:

أقصىٰ اللسان، وطرفه، ووسطه، وحافتاه.

فأقصىٰ اللسان له مخرجان لحرفين، فالقاف من أقصىٰ اللسان وما فوقه من الحنك، والكاف من أقصىٰ اللسان مستقبلًا من أعلىٰ الحنك محاذيًا موضع القاف من وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك مخرج واحد للشين والجيم والياء.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [المعتقدات].

(٢) في نسخة دار الكتب: [أو علىٰ التعاقب].

(٣) في نسخة دار الكتب: [وهي عند].

- ومن طرف اللسان خمسة مخارج لأحد عشر حرفًا، فأما الطاء والتاء والدال
ي مخرج واحد، وهو ما بين طرف اللسان، وأصول[١] الثنايا العليا.

والظاء والثاء والذال من مخرج واحد وهو ما بين طرف اللسان وأطراف
نايا العليا.

والصاد والزاي والسين من مخرج واحد وهو ما بين طرف اللسان وأصول
نايا العليا.

والنون من مخرج واحد وهو طرف اللسان وما يتصل بالخياشيم.

والراء من مخرج واحد وهو طرف اللسان غير أنه أدخل في ظهر اللسان
نحرافه[٢] إلىٰ اللام.

- ولحافة اللسان مخرجان لحرفين؛ فمن حافة اللسان من أقصاها وما يلي
ضراس مخرج الضاد، ومن الناس من يخرجها من الجانب الأيمن، ومن الناس من
رجها من الجانب الأيسر وهم الأكثر، وخروجها من هذا كخروجها من هذا.

- ومن حافة اللسان ومن أدناها إلىٰ ما يلي الثنايا مخرج اللام.

- وللشفة مخرجان لأربعة أحرف:

فالفاء لها مخرج واحد وهو باطن الشفة السفلىٰ وأطراف الثنايا العليا، والباء
ليم والواو مخرجهن ما بين الشفتين غير أن الشفتين تنطبقان بالميم والباء ولا
طبقان بالواو بل ينفتحان.

والنون الساكنة والتنوين مخرجهما من الخياشيم.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [وأطراف].

(٢) في نسخة دار الكتب: [لانحرافه].

وقال الفراء وقطرب وابن كيسان: المخارج[١] أربعة عشر مخرجًا، فجعلوا الراء واللام والنون من مخرج واحد وهو طرف اللسان.

وذكر أبو عمرو الداني أرجوزة في هذا المعنىٰ شعرًا، فقال:

تسع وعشرون حروف المعجم ... فسبعة للحلق منها فاعلم

الهاء والهمزة قبل والألف ... والحاء والعين فميز ما أصف

والخاء والغين كما بينت لك ... والكاف والقاف فمن أقصىٰ الحنك

والجيم والشين وحرف الياء ... من وسط اللسان باستواء

ومخرج الدال وحرف الطاء ... بين الثنايا مع حرف التاء

والتاء ثم الطاء بعد الدال ... من طرفي هذين باعتدال

والصاد والزاي نعم[٢] والسين ... من الثنايا طرف[٣] تكون

في مذهب الفراء والحربي ... كمذهب[٤] ابن قنبرا البصري

بل قال إن اللام لاستواها ... من حافة اللسان من أقصاها

ومخرج التنوين وهو غنة ... من داخل الخيشوم فأعلمنه

والصاد[٥] تنفرد عن سواها ... بحافة اللسان من أدناها

إلىٰ الذي تلي من الأضراس ... وقل من يحكمها من الناس

---

(١) في نسخة دار الكتب: [مخارج الحروف].

(٢) في نسخة دار الكتب: [معًا].

(٣) في نسخة دار الكتب: [طرفًا].

(٤) في نسخة دار الكتب: [لا مذهب].

(٥) في نسخة دار الكتب: [والضاد].

وأحرف والثنية[1] منها الفاء ... وهي من باطنها والباء
والميم والواو وثلاث هنه ... ما بين ضم الشفتين هنه

وإنما حكيت لك هذه المخارج مشروحة لتعلم أنها كلها جسمانية، ولا تحقق للحروف إلا بها، والبارئ منزه عن ذلك كله.

العاشر: وما صرتم إليه متحقق فيه قبل وبعد، وهما من خواص المحدثات ولوازمها.

الحادي عشر: الكلام علىٰ ما قلتم صفة فعلية لا ذاتية كما في الشاهد.

الثاني عشر: القدم لا يتصور فيه تجدد بل يتعلق بالموجودات، والكلام ليس كذلك لأن حقيقته مبنية من المتجددات في كل وقت وزمان كما في الشاهد.

الثالث عشر: إذا كان متكلمًا في الأزل علىٰ ما ذكرتم، فإما أن يكلم نفسه أو غيره لاستحالة تحقق المحدثات أزلًا، ولا جائز أن يكلم نفسه لعدم الفائدة في ذلك.

الرابع عشر: لو كان الكلام القديم ما ذكرتم، لما كان قارئه مثابًا في وقت عاصيًا في وقت، وكذلك كتابته ولمسه؛ لأن الحقيقة الواحدة لا تختلف، أو لأن الثواب والعقاب لا يتحققان إلا علىٰ فعل الآدمي ومقدوره.

الخامس عشر: الخطوط تختلف والحروف تتفاوت والقديم ليس كذلك.

السادس عشر: إذا تكلمنا بكلامه يلزم أن نعلم علمه[2]، ونقدر بقدرته، وإلا يلزم أن تكون القدرة علىٰ أحد المتساويين غير ثابتة علىٰ المساوي الآخر، فيلزم الترجيح من غير مرجح وهو محال؛ لأن حقيقة الصفة القديمة من حيث هي صفة

---

(١) في نسخة دار الكتب: [وأحرف الشفة].

(٢) في نسخة دار الكتب: [إذا تكلمنا بكلام يلزم أن نعلم بعلمه].

قديمة واحد.

السابع عشر: لو كان هذا الكلام الذي نتلوه المنسوب إلينا تلاوته كلام الله حقيقة لصدق علينا: أنا نحن الآمرون الناهون المشرعون[١] للأحكام، وهذه النسبة منتفية بالإجماع.

الثامن عشر: لو جاز أن نتكلم بكلامه تعالىٰ، لجاز لزيد أن يتكلم بكلام عمرو وليس كذلك.

التاسع عشر: إذا كنا متكلمين بكلامه[٢] علىٰ وجه لا يتحقق الامتياز يلزم مشاركته تعالىٰ في صفته القديمة وذلك محال.

العشرون: لو كان هذا الكلام الذي نتلوه حقيقة كلام الله لزم منه قيام الصفة الواحدة بالأغيار[٣] المتعددة، وذلك محال.

فعلم بمجموع ما ذكرنا أن الذي صرتم إليه مخالف لبديهية العقل ومستحيل في نفسه، فلا سبيل إلىٰ المصير إليه.

والجواب الذي نقوله في الرد عليهم:

أن مجموع ما ذكرنا من الآيات والأخبار والإجماع صريح في مدعانا، ونص له عليه وفيه، ودعوىٰ المجاز مردود إذ هو خلاف الأصل، ثم كيف يظن بالصحابة رضي الله عنهم وهم أصحاب العربية وأهل اللغة تواطئهم علىٰ استعمال المجاز في صور لا تعد ولا تحصىٰ.

فأما قولكم: أن ما ذكرناه مخالف للقواعد العقلية.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [إنا نحن الآمرين الناهين المشرعين] والصواب المثبت.

(٢) في نسخة دار الكتب: [بكلامه تعالىٰ].

(٣) في نسخة دار الكتب: [بالأعيان].

قلنا: لا وسنبين في جواب الأسئلة أن هذا المعتقد لا يخالف الأمور العقلية لا ينافيها، حينئذ يكون المصير إلىٰ ما ذكرناه أولىٰ إذ هو تبع للصحابة، واستعمالات الإطلاقات في موضوعها الأصلي وغير منافٍ للأمور العقلية، حينئذ لا يشك عاقل في ترجيح هذا علىٰ ما عداه، علىٰ أنا لا نقتصر علىٰ هذا، بل نقول: يجب أن تكون الحقيقة مرادة من تلك الإطلاقات المذكورة في الأخبار والآيات لعشرين وجهًا:

الأول: لو لم يكن المراد ما ذكرنا، للزم من ذلك التلبيس من الله تعالىٰ علىٰ نبيه ﷺ أن يكون مصرحًا بنزول كلامه والمراد[1] غيره، وذلك محال في حق الله تعالىٰ.

الثاني: يلزم منه ارتفاع التكاليف بأسرها لأنها إنما أوجبت بكلام الله تعالىٰ، وهذا غير كلام الله، ومحال أن يكون هذا غير كلام الله، فإن في فتح هذا الباب مفسدة عظيمة.

الثالث: لو لم يكن المراد ما ذكرنا، للزم منه العبث في قوله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

إذ الإجارة حينئذ تكون حاصلة بغير كلام الله، أو يلزم منه المحال، فإن سماع القائم بالنفس مع كونه قائمًا محال، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقول النبي ﷺ: «**إن قريشًا منعتني أن أبلغ كلام الله ربي**»[2]، وليس المراد

---

(١) في نسخة دار الكتب: [والمراد به].

(٢) (صحيح): رواه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجة (٢٠١)، والنسائي في الكبرىٰ (٧٧٢٧)، وأحمد (٣/ ٣٩٠)، والطبراني في الأوسط (٦٨٤٧).

قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٨): رواه أحمد ورجاله ثقات.

قال الألباني في رواية أحمد: وهو علىٰ شرط مسلم.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام (١/ ٧٦): أخرجه أبو داود عن محمد بن كثير عن إسرائيل وهو علىٰ شرط البخاري. =

بهذا إلا ما ذكرنا.

الرابع: لو لم يكن ما ذكرناه ثابتًا، لما ثبتت هذه الأحكام من وجوب تعظيم المصحف واحترامه، وتحريم مسه إلا علىٰ طهارة، حتىٰ إنه نقل عن جماعة من العلماء والزهاد رحمهم الله، أنهم ما دخلوا بيتًا فيه مصحف إلا علىٰ طهارة؛ لأن هذه الأمور لا تفعل طبعًا إلا لكلام الله تعالىٰ إما بالإجماع أو بالدوران، لا يقال يفعل ذلك لدلالتها علىٰ القديم؛ لأنا نقول: فكتب الحديث والفقه والتفسير[1] تدل علىٰ ما يدل عليه من الحل والحرمة، والمجموع منتفٍ عنها.

الخامس: لو لم يكن هذا المنزل غير كلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة لما انعقدت يمين الحالف به، ضرورة عدم الانعقاد بالمحدثات، واليمين منعقدة فيها إذا قال: وما في المصحف من كلام الله. كيف والتحليف بالمصاحف من لدن الصحابة إلىٰ زماننا هذا شائع بين الناس من غير إنكار فيكون ذلك إجماعًا.

السادس: لو قيل لقارئ يقرأ آية: إنه يقرأ كلام الله، لا يخطأ في هذه القضية بالإجماع، ولو قيل: يقرأ عبارة كلام الله لا كلام الله، لأجمع الناس علىٰ ضلالته وتبديعه، وكذا هذا الوجه مطرد فيمن وجد يكتب مصحفًا.

السابع: أجمع المسلمون علىٰ إطلاق هذه الكلمات من غير إنكار ولا تعرض إلىٰ كيفية نزول ولا حقيقة ولا مجاز، وهي قولهم كلام الله منزل غير مخلوق، وهذه الكلمات مروية عن النبي ﷺ، روىٰ ذلك أبو نصر السجزي في كتابه.

وروي عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر بن خطاب رضي الله عنهما، قال:

=

وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٤٧).

(١) في نسخة دار الكتب: [فكتب الفقه والحديث والتفسير كلها].

قال رسول الله ﷺ: **«القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود»**(١).

وكذلك روي من طريق أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: **«القرآن متصل من الله إلينا، طرف بيده وطرف في يدينا»**(٢).

الثامن: قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين لما عوتب في التحكيم: **«ما حكمت مخلوقًا»**(٣) وذلك يدل علىٰ ما قلناه، فإن قضية التحكيم مشهورة، حتىٰ

---

(١) **(موضوع)**: رواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٣/ ١٤١)؛ وآفته: محمد بن يحيىٰ بن رزين؛ قال ابن حبان فيه: «دجال يضع الحديث، لا يحل ذكره في الكتب إلا علىٰ سبيل القدح فيه». ثم ذكر الحديث. المجروحين (٢/ ٣١٢) ترجمة (١٠٢٢).

وقال ابن تيمية في منهاج السنة (٨/ ١٥٠): وهذا القول صحيح متواتر عن السلف أنهم قالوا ذلك لكن رواية هذا اللفظ عن النبي ﷺ كذب» اهـ.

(٢) **(صحيح بشواهده)**: رواه العقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ٣٦٢/ ١٩٧٤) بلفظ: **«إني تارك فيكم الثقلين؛ أحدهما كتاب الله تبارك وتعالىٰ سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم...»** عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

وفيه هارون بن سعد، كوفي كان يغلو في الرفض.

ورواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٨٨/ ٤٩١) عن أبي شريح الخزاعي مرفوعًا.

قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٦٩): أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

وقال المنذري في الترغيب (١/ ٤٧): رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد.

وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٨).

ورواه الطبراني (٢/ ١٢٦/ ١٥٣٩)، وفي الصغير (١٠٤٤)، والبزار (٨/ ٣٤٦/ ٣٤٢١) عن جبير بن مطعم.

وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٩): صحيح لغيره.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٧٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٨٨/ ١٦٨)، وفي الأسماء والصفات (٥٢٥) بسند ضعيف جدًّا.

وآفته: عتبة بن السكن الفزاري وهو واهٍ منسوب إلىٰ الوضع.

قال الدارقطني: «متروك الحديث». وقال ابن حبان: «يخطئ ويخالف». وقال البيهقي: «واهٍ منسوب إلىٰ الوضع». كما في الميزان ولسانه.

إن الشاعر قال فيها حيث يقول[(١)]:

أيهـــا الحـــاضرون إن عليًّـــا ... لم يحكـــم في دينـــه مخلوقـــ
إنـــما حكـــم القـــرآن وقـــد كـــا ... ن بتحكيمـــه القـــرآن حقيقـــ
أعلـم النـاس بالكتـاب والـسنة[(٢)] ... والله ملهـــــــم توفيقـــــــ

وكان مع علي ومعاوية رضي الله عنهما الجمع العظيم والخلق العميم من كبار الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليه أحد منهم ذلك.

التاسع: لو لم يكن المراد ما ذكرنا لكان قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ١٥] غير مستقيم إذ تبديل ما لا يصل إليهم غير متصور، وقد أشار إلىٰ هذا الوجه ابن عقيل[(٣)].

العاشر: الذي صرتم إليه لم يقل به أحد من العلماء؛ لأن إثبات كلام الله قديم لا نبصره ولا نقرأه ولا نسمعه[(٤)] خلاف الإجماع.

الحادي عشر: قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]. وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٨]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ﴾ [النمل ٧٦]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الحشر ٢١]، وأجمعت الأمة علىٰ أن قوله: «هذا» إشارة إلىٰ هذا القرآن الذي نتلوه ونحفظه.

الثاني عشر: لو لم يكن المراد ما ذكرنا، لكان الرد علىٰ الكفار لما قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَآ

---

(١) في نسخة دار الكتب: [حيث يقول هذه الأبيات سعد].

(٢) في نسخة دار الكتب: [وبالسنة].

(٣) في نسخة دار الكتب: [ابن عقيل رحمه الله].

(٤) في نسخة دار الكتب: [لا نبصره ولا نكتبه ولا نقرأه ولا نسمعه].

لَا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] غير صحيح؛ لأنهم كانوا يقولون ما قلناه صحيح. فلولا ن هذا الكلام غير كلام البشر وإلا لما اتجهت الملامة والتوبيخ.

الثالث عشر: قوله ﷺ: «**ما بين الدفتين كلام الله**»[١]، وليس بين الدفتين إلا هذه الحروف.

وعن عبد العزيز، قال: «دخلت أنا وشداد بن معقل علىٰ ابن عباس رضي الله عنهما، فقال شداد بن معقل: أترك النبي ﷺ شيئًا؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدفتين.

ودخلنا علىٰ محمد بن الحنفية، فسألناه: فقال: ما ترك إلا ما بين الدفتين»[٢].

وهذه إشارة منهم إلىٰ كلام الله تعالىٰ.

الرابع عشر: قوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، فلو لم يكن الثابت ما ذكرناه لكان هذا الكلام بمنزلة قوله: «فأتوا بمثل ما في نفسي» و«بمثل ما لم يعرفوه»، فيكون بمثابة قوله: «فأتوا بمثل عملي وقدرتي»، والباري منزه عن ذلك.

الخامس عشر: في ما صرتم إليه رد لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾. [المزمل: ٥]

السادس عشر: قوله ﷺ: «**لا تسافروا بالقرآن إلىٰ أرض العدو**»[٣].

ومعلوم أنه يرد[٤] بالنهي الورق والمداد، فتعين ما ذكرنا وإلا لما صح هذا النهي.

---

(١) رواه البخاري (٥٠١٩).

الدفتين: الجلدتين اللتين علىٰ جانبي المصحف.

(٢) رواه البخاري (٥٠١٩).

قال ابن الجوزي في كشف المشكل (٣/ ٥٧٣): «ويحتمل هذا الحديث شيئين: أحدهما: ما ترك من الدنيا شيئًا إنما ترك القرآن، والثاني: ما ترك من العمل مسطورًا سوىٰ القرآن» اهـ.

(٣) رواه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩).

(٤) في نسخة دار الكتب: [لم يرد].

السابع عشر: أجمع المسلمون علىٰ أن كلام الله مشتمل علىٰ أمر ونهي وخبر واستخبار، ومحكم ومتشابه، ومجمل ومبين، وناسخ ومنسوخ، وأنه سور وآيات وأجزاء وأحزاب، والقائم بالنفس لا يتصف بذلك.

الثامن عشر: لو لم يكن هذا [الذي] نتلوه كلام الله حقيقة، لما جاز الرجوع إليه في الأحكام، إذ الرجوع إلىٰ غير كلام الله مع وجوده غير جائز بالإجماع.

التاسع عشر: لو لم يكن ما نتلوه ونحفظه كلام الله حقيقة، لما تحقق إعجاز العرب عن الإتيان بمثله مع ما كانوا فيه من الفصاحة والبلاغة، وتوفر دواعيهم علىٰ قطع النبي ﷺ وتعجيزه، وتمكنهم من ذلك في المدة الطويلة، ولما تحقق عجزهم وعدم استطاعتهم علىٰ الإتيان بمثله، حتىٰ نزل معهم من الجميع إلىٰ عشر سور، إلىٰ سورة واحدة، دل ذلك دلالة قطعية علىٰ أن هذا الكلام ليس من كلام الآدميين، فتعين أن يكون كلامًا لله[1] إذ لا ثالث لذلك.

العشرون: قوله ﷺ: «**إن هذه صلاتنا لا يصح فيها شيئًا من كلام الآدميين**»[2]، إن فيها قراءة فاتحة الكتاب[3].

فلو كانت فاتحة الكتاب من كلام الآدميين لتناقض الكلام؛ لأن نقيض السلب الكلي يتحقق بالإيجاب الجزئي، ومنصب النبوة يجل عن مثل هذه المناقضة.

فثبت بمجموع ما ذكرناه من هذه الوجوه: أن الحقيقة يجب أن تكون مرادة من تلك الإطلاقات المذكورة في الأخبار والآيات، وأن هذا الموجود المكتوب في

---

(١) في نسخة دار الكتب: [أن يكون كلامًا لله ضرورة إذ لا ثالث لذلك].

(٢) رواه مسلم (٥٣٧) بنحوه.

(٣) في نسخة دار الكتب: [ومعلوم أن فيها قراءة فاتحة الكتاب].

المصاحف الذي نحفظه ونعمل به[١]، هو حقيقة كلام الله القديم المنزل علىٰ نبيه ﷺ، إذ هو العمل والأصل والقرآن، وفرارًا عن الوقوع في هذه المحذورات وإخراجًا للصحابة رضوان الله عليهم من الجهالات، ولا خفاء علىٰ ذي بصيرة أن هذا هو الدين القويم والصراط المستقيم.

وأما الجواب عما ذكروه من الأسئلة العقلية:

قلنا: أما الأول: فنسلم ما ذكرتموه من المشاهد الحسية، لكن ما هو مشاهد[٢] من السواد والحمرة، والشخصيات الكسبية، فهو محدث عندنا، والحرف قديم والقبلية والبعدية، إنما كانت باعتبار ما هو محدث من مجموع ما ذكرنا، مع كونه في هذا المحل، والحرف منفك عن هذه الأمور، فعلم أنه لا يلزم مما ذكرتم حدوثها، لا يقال الإشكال بحاله، فإن التقسيم ورد علىٰ نفس الحرف، إما أن يكون خاليًا عن العمل[٣]، أو لا يكون خاليًا عنه، فإن كان الأول فوجوده حينئذ بعد أن لم يك[٤]، فيعود الإشكال، وإن كان الثاني، فيلزم الخلاء للوجود وهو محال؛ لأنا نقول يكون خاليًا عنه، لكن لما كان ذاتيًا في قدمه، وعدم الوجود في هذا المحل لا ينفي الوجود، فالمنافاة إنما تقع لو وجد بعد أن لم يكن أصلًا.

الثاني: قولكم: هذه الحروف يلازمها التركيب.

إن عنيتم بالتركيب أن كلمات يصدق علىٰ واحد منها لا يصدق علىٰ أخرىٰ.

فإن قلتم: إن ذلك يستحيل علىٰ القديم.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [الذي نحفظه ونصلي به هو حقيقة كلام الله].

(٢) في نسخة دار الكتب: [المشاهد].

(٣) في نسخة دار الكتب: [عن المحل].

(٤) في نسخة دار الكتب: [لم يكن].

فإن كلما يصدق علىٰ صفة من صفاته لا يصدق علىٰ الأخرىٰ.

وإن عنيتم التركيب الجسماني، فلا نسلم تحقق الملازمة حينئذ كما لا يستحيل وجود موجود، لا جوهر ولا جسم ولا عرض، فلِمَ يستحيل وجود حروف يلازمها التركيب مع ما سلف في فصل الحروف من صحة القسمة العقلية، ولئن سلمنا أنه يلازمها التركيب، فَلِمَ قلتم أنه يلزم منه حدوثها؟

قولكم: لازم المحدث محدث.

قلنا: إن أردتم بالملازمة المعبر، فلا نسلم تحقق الحدوث علىٰ هذا التفسير، وإن عنيتم بالملازمة عدم الانفكاك، فلا نسلم تحقق الملازمة حينئذ، بل ذلك إنما يقع باعتبار المحال.

قولكم في الثالث: يلزم تنجيس القديم إذا كتب بالحبر النجس.

قلنا: إنما يتنجس للحبر والمداد، أما القديم فلا، ثم إن دفع كلام الله عَزَّوَجَلَّ من بين أظهرنا وعدم نزوله علىٰ النبي ﷺ أشنع من هذه المقالة التي نحن بريئون منها.

قولكم في الرابع: إنه بتقدير أن يكون المشار إليه في هذا المصحف المعين قديمًا، يلزم تعدد القدماء.

قلنا: لا نسلم بل يلزم تعدد الآلات والمحال، أما نفس الحرف فلا، فإن كتب ألفًا بألوان مختلفة متعددة[1]، لا يشعر ذلك بتعدد الألفات، وإنما التعدد يقع باعتبار تلك الألوان مع المحال، والمتعدد بتعدد محله لا يكون متعددًا في نفس الأمر، إذ لو كان متعددًا مع قطع النظر عن محله، يلزم أن يكون الواحد أكثر من واحد، وذلك محال.

فلئن قال: حاصل ما تشيرون إليه خلاف ما عولتم عليه، وذلك لأن عندكم

(١) في نسخة دار الكتب: [بألوان مختلفة في محال متعددة].

لام الله موجود في المصحف علىٰ الحقيقة، وهو هذه الحروف، وعلىٰ ما ذكرتم، م يكون القديم غير هذه الحروف.

قلنا: لا يدل علىٰ ما ذكرنا علىٰ قدم غير هذه الحروف، بل عندنا أنها قديمة، هي كلام الله تعالىٰ، ثم عندنا كلام الله تعالىٰ ليس بجسم، وما هو موصوف لجسمية عندنا محدث[١]، وهو عندنا مباين للكلام القديم، ولا ينافي ذلك وجوده ي هذا المحل المشار، بدليل ما نذكره في النظير، فإن الصَّنَّاع إذا شخص من صنعته مورة وهيأها من مواد مختلفة، فإن صنعته تكون موجودة في ذلك المحل، بحيث ا يشك عاقل في ذلك، مع أن تلك الآلات التي هي موضوع الصنعة، لا تكون اخلة في حقيقة صنعته التي هي الترتيب والتلفيق، وكل ذلك مرئي مشاهد محقق، كذلك ما نحن فيه بصدق رؤية الحروف مع عدم المنافاة لقدمها، وما عداها ينزل نزلة الآلات من هذا المصنوع، فليفهم ذلك ففيه غموض، وقد أشار إليه الإمام و الحسن ابن الزاغوني في كتابه «الإيضاح».

ولعمري لقد اندفع بهذا التقرير كثير من كلام الأشاعرة وتلبيساتهم عند العارف معاني الكلام ودقائقه.

بقي علىٰ هذا أن يقال: قد نقل عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: ليس من السنة أن جادل عنها، إنما السنة أن تخبر بها، فإن قبل منك وإلا فاسكت.

وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «من أخذ دينه بالقياس ذهب دهره ي الإلباس[٢]؛ مائلًا عن المنهاج طاعنًا في الاعوجاج»[٣].

---

(١) في نسخة دار الكتب: [وما هو موصوف عندنا بالجسمية محدث].

(٢) في نسخة دار الكتب: [في الالتباس].

(٣) ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٢/ ١٨).

ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نعرف ربنا بما عرفنا به نفسه، ونصفه بما وصف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب من الأشياء غير ملاصق، بعيد منها غير مفارق، تحقق بلا تمثيل، وموحد بلا تعطيل»[1].

قلت: فإشارة ابن عباس إلىٰ أنه لا يجوز العدول عما جاء به الكتاب العزيز، ونطق به السيد الرسول ﷺ، ولا يليق بذي الجلال أن نصفه إلا بما وصف به نفسه، ومن تجاوز ذلك المنهاج، ومال بآرائه ومقاييسه عن طريق الحق والسداد، عُدَّ من عصابة الجهل وأهل العناد.

وأما ما ذكروه في الثامن: إذا كتب إنسان من القرآن ثم محىٰ ذلك.

قلنا: لا نسلم أن التشويش والانعدام ورد علىٰ القديم، بل علىٰ ما يصدق عليه أنه محدث، أما الحرف فلا. وقد بينا فيما تقدم ثبوت التغاير بينهما، ثم لو صح ما ذكرتم لزم من انعدام هذه الألف انعدام كل ألف، وذلك باطل بالبديهة الحسية، فإن انمحىٰ ألف كتب في محل، لا توجب انمحاء ألف كتبت[2] في محل آخر، ولو كان المحو واردًا علىٰ الحرف لارتفع الجميع بارتفاع واحد منها، بل هو وارد علىٰ أمور خارجة عن حقيقة الحرفية.

* * *

---

(١) في نسخة دار الكتب: [وتوحد بلا تعطيل].

(٢) في نسخة دار الكتب العلمية: [كتب].

قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٧٢): «رواه الطبراني وفيه جويبر وهو ضعيف جدًّا».

وقال العيني في عمدة القاري (٢٣/ ٣١١): «وجويبر ضعيف والضحاك لم يدرك ابن عباس».

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٨٩٥): وهذا أيضًا إسناد ضعيف، فإن جويبر ضعيف والضحاك لم يدرك ابن عباس رضي الله عنه».

فصل: في إثبات الحرف لله تعالى

دليله آيات من الكتاب العزيز:

الأول: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

والكلمات هي الحروف المتآلفة المفيدة، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. [النساء: ١٦٤]

قال الأصمعي والفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم من أهل اللغة: التأكيد بالمصدر يدل علىٰ ارتفاع الواسطة.

فثبت أنه يقال: كلم موسىٰ بكلام سمعه بحاسة أذنه، ولذلك امتن الله عليه في قوله: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]، فلولا أنه سمع كلامه، وإلا لم يكن للتخصيص فائدة.

وقد روي أن بني إسرائيل كانوا يقولون لموسىٰ ﷺ: «أرنا أذنًا سمعت كلام الله»[١].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ناجىٰ موسىٰ بمائة ألف كلمة وأربعين

---

(١) لم أقف عليه.

ألف كلمة»[١].

وروي عن زيد بن أسلم: أن الله لما كتب التوراة بيده لموسىٰ، قال: «باسم الله قال: هذا كتاب الله بيده لعبده موسىٰ، يسبحني، ويقدسني، ولا يحلف باسمي آثمًا»[٢] الحديث بطوله.

* * *

فصل: في إثبات الصوت لله تعالى

ينطق الكتاب العزيز بذلك في مواضع:

منها في سورة «القصص» ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾ [القصص: ٣٠].

وفي سورة «النمل» ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾ [النمل: ٨].

وفي «طه»: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾ [طه: ١١].

والنداء لا يكون إلا بصوت عند جميع أهل اللغة، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ٣١].

والاستماع لا يكون إلا لصوت مسموع.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢ و٧٤]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] والنداء بالإجماع

---

(١) (ضعيف جدًا): رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٤٥، ١٠٩٩)، وأبو بكر النجاد في الرد علىٰ من يقول بخلق القرآن (١٤)، والطبراني في الكبير (٧/ ٣٤٥/ ١٢٦٥٠)، والأوسط (٣٩٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٢٧)، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (١١٣).

قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٣٧٢): «رواه الطبراني وفيه جويبر وهو ضعيف جدًا».

وقال العيني في عمدة القاري (٢٣/ ٣١١): «وجويبر ضعيف والضحاك لم يدرك ابن عباس».

وقال ابن كثير في تفسيره (١/ ٨٩٥): وهذا أيضًا إسناد ضعيف، فإن جويبر ضعيف والضحاك لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) **(صحيح)**: رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٧٦)، ومن طريقه أبو بكر النجاد في الرد علىٰ من يقول بخلق القرآن (١٠١).

لا يكون إلا بصوت.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾ [النازعات: ١٦]، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، إنما سمعوا الصوت.

وروىٰ البخاري في «صحيحه» عن النبي ﷺ، أنه قال: «**إذا تكلم الله بالوحي، سمع صوته أهل السماء السابعة، فيخرون سجدًا**»[(١)] إلىٰ آخره.

وروي في «الصحيحين» ودونه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر العباد يوم القيامة، فيناديهم بصوت يسمع من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»[(٢)].

وروىٰ محمد بن عطية، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ينادي يوم القيامة، فيقول: أين جيراني؟ أين جيراني؟ فتقول الملائكة: ربنا، ومن ينبغي له أن يجاورك؟! قال: فيقول: أين عمار المساجد**»[(٣)].

ولا يقال: إضافة النداء إلىٰ الله بطريق المجاز إذ هو الآمر، كما يقال: نادىٰ

---

(١) رواه البخاري (٤٨٠٠) بلفظ: «**إذا قضىٰ الله الأمر...**» عن أبي هريرة، ورواه أبو داود (٤٧٣٨) عن ابن مسعود وهو حديث صحيح.

(٢) (**صحيح بمجموع طرقه**): رواه البخاري في صحيحه معلقًا ووصله في الأدب المفرد (٩٧٠)، وفي أفعال العباد (صـ٨٩).
ورواه أحمد (٣/ ٤٩٥)، والحاكم (٢/ ٤٧٥)، (٤/ ٦١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٤)، وفي الآحاد والمثاني (٢٠٣٤)، وغيرهم.
قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٣٧): «وهو عند أحمد والطبراني في الأوسط بإسناد حسن».
وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٢٣٣): «رواه أحمد بإسناد حسن». وكذلك قال المنذري في الترغيب (٣/ ٢٣٠).
وذكر العلامة الألباني له طرقًا أخرىٰ في ظلال الجنة (٥١٤) يرتقي بها إلىٰ الصحيح لغيره.

(٣) (**حسن**): رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢١٣)، والحارث في مسنده (١٢٦ زوائد الهيثمي) بسند قال عنه العلامة الألباني في الصحيحة (٢٧٢٨): «وهذا إسناد جيد رجاله ثقات...» اهـ.

السلطان والمراد غيره؛ لأنا نقول: لا يجوز ذلك؛ لأن غير الله لا يمكنه أن يقول: «**أنا الله، أنا الملك، أنا الديان**». فيسقط هذا الخيال.

وروي أن الإمام أحمد بن حنبل سئل عن رجل قال: إن الله لم يتكلم بصوت ولم يكلم موسىٰ بصوت.

فقال[١]: «هذا جهمي كافر عدو الله وعدو الإسلام، أما سمع ما قال ابن مسعود: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء»[٢]. وهذا لا يقوله ابن مسعود بالاجتهاد من تلقاء نفسه».

وروي «أن موسىٰ عليه السلام لما مضىٰ بقبس النار، رأىٰ نارًا تفور من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة، وإذا المنادي ينادي: يا موسىٰ يا موسىٰ، فأجاب استئناسًا ببشر: لبيك لبيك، مَنْ أنت؟ فإني أسمع صوتك ولا أرىٰ مكانك. فقال: يا موسىٰ أنا ربك»[٣].

---

(١) **(صحيح)**: رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٢٧، ٥٢٨)، ومن طريقه أبو النجاد في الرد علىٰ من يقول القرآن مخلوق (٣).

(٢) **(صحيح موقوفًا وله حكم الرفع)**: رواه ابن خزيمة في التوحيد (١٩٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٠)، ومن طريقه أبو النجاد في الرد علىٰ من يقول القرآن مخلوق (٥)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٣٦٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٣٢) موقوفًا.

ورواه أبو داود (٤٧٣٨)، والآجري في الشريعة (٦٦٩)، والخطيب البغدادي في تاريخه (١١/ ٣٩٢) مرفوعًا.

وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٩٣)، وصحيح سنن أبي داود (٤٧٣٨).

(٣) **(موضوع)**: رواه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (صـ٥١٦، ٥١٧) والدينوري في المجالسة (٤/ ٢٩٣/ ٢٩٤/ ١٤٥٢)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (١٧/ ٣٢٠، ٣١٩).

وفي سنده عبد المنعم بن إدريس بن سنان بن كليب بن بنت وهب ابن منبه، يروي عن أبيه عن وهب، روىٰ عنه العراقيون، يضع الحديث علىٰ أبيه وعلىٰ غيره من الثقات، لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «كان يكذب علىٰ وهب بن منبه». وقال: «لم يسمع من أبيه شيئًا». انظر المجروحين (٢/ ١٥٧)، والميزان (٢/ ٦٦٨).

وله طريق حسن إلىٰ وهب رواه أحمد في الزهد (٣٤٢).

وروي أيضًا، أن بني إسرائيل قالوا لموسىٰ: بم شبهت صوت ربك حين كلمك من هذا الخلق؟ قال: شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يترجع[(١)].

وروي أن موسىٰ حين رجع من مناجاة ربه استوحش من كلام الآدميين لما وجد من الأنس بكلام الله تعالىٰ[(٢)].

فصل

في أن القراءة هي المقروء وأن الكتابة هي المكتوب

وإن كانت طريقتنا هذه التي سلكناها غير مفتقرة إلىٰ شيء من ذلك، لكن اتباع المشايخ أولىٰ.

منها ما روي عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف منه خمسون حسنة، أما إني لا أقول: الم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[(٣)].

---

(١) (ضعيف): رواه الآجري في الشريعة (٦٩١) بسند ضعيف.

والخبر من الإسرائيليات، وهو باطل متنًا أيضًا حيث فيه تشبيه صوت الخالق سبحانه ببعض مخلوقاته. والله سبحانه وتعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، سبحانه وتعالىٰ. انظر الشريعة (١/ ٦٦٩) تحقيق د/ الدميجي.

(٢) (ضعيف جدًا): رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٣٨)، ومن طريقه النجاد في الرد علىٰ من يقول القرآن مخلوق (١٤)، والآجري في الشريعة (٦٩٣) بلفظ: «...فلما سمع موسىٰ عليه السلام كلام الآدميين مقتهم لما وقع في مسامعه من كلام رب العالمين عز وجل...».

وآفته:

الضحاك وهو ابن مزاحم صدوق كثير الإرسال لم يدرك ابن عباس.

وجويبر وهو ابن سعيد الأزدي ضعيف جدًا.

وعمرو بن هاشم أبو مالك الجنبي الكوفي، لين الحديث أفرط فيه ابن حبان.

انظر التقريب (١/ ٣٧٣)، والتهذيب (٢/ ٨٠) (٤/ ٤٥٣)، والمغني (١/ ١٣٨).

(٣) (ضعيف): رواه تمام في الفوائد (١٣٠٤ الروض البسام) بسند ضعيف.

شيخ تمام مجهول، ذكره ابن عساكر في تاريخه، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

=

وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا يعذب الله قلبًا وعىٰ القرآن»[(١)].

وروي عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أفواهكم طرق القرآن، فطهروها بالسواك»[(٢)].

وروي عن ابن مسعود أنه قال: «تعاهدوا هذا القرآن فإنه أشد تفصيًا من

=

ومحمد بن إسحاق، وهو ابن الحريص، ذكره ابن عساكر في تاريخه (٥٢/ ٢٦)، والذهبي في تاريخ الإسلام وفيات (٢٨، ٢٩٠)، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا.

فالسند ضعيف للجهالة.

(١) **(ضعيف جدًّا مرفوعًا وصحيح موقوفًا)**: رواه تمام في فوائده (١٣٠٣ الروض البسام)، وابن عساكر في تاريخه (٧/ ٦٢) عن أبي أمامة مرفوعًا بسند ضعيف جدًّا.

آفته:

مسلمة بن علي، وهو الخشني، متروك. انظر التقريب (٦٦٦٢) والكاشف (٥٤٤٢)، والضعيفة (٢٨٦٥).

ورواه البخاري في خلق أفعال العباد (٣٧٦)، والدارمي (٢٣١٩)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٠٥، ٥٠٦) بسند صحيح موقوفًا عن أبي أمامة.

وقال ابن حجر في الفتح (٩/ ٧٩): «وأخرج بن أبي داود بإسناد صحيح عن أبي أمامة...» وذكره.

قال ابن الجوزي في غريب الحديث (٢/ ٤٧٧): «باب الواو مع الفاء: «قوله: «**لا يعذب الله قلبًا وعىٰ القرآن**». قال ابن الأنباري: معناه عَقَلَ القرآنَ إيمانًا وعملًا، فأمَّا من حَفِظَ ألفاظه وضَيَّعَ حدوده، فإنه غير واعٍ يَدُلُّ علىٰ ذلك حديثُ الخوارج يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم» ا.هـ.

(٢) **(ضعيف جدًّا)**: رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٩٦) بسند ضعيف جدًّا.

آفته:

بحر السقاء، هو ابن كَنِزِ السقاء، متفق علىٰ تركه كما قال الذهبي.

قال الدارقطني: «متروك». وقال النسائي: «متروك الحديث». انظر الكاشف (٥٣٧)، والكامل (٢/ ٥٠)، والمجروحين (١٤٠).

وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٧٨): «ضعيف». وانظر الضعيفة (٢٢٧٥).

قلت: ورواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (١/ ٣٨)، والضياء في المختارة (١/ ٢٠١) من طريق عبد الرحمن السلمي عن علي بسند صحيح. انظر الصحيحة (١٢١٣).

طرق القرآن فطهروها: أي: صُونُوها عن اللَّغْوِ والفُحْش والغيبة والنميمة والكذب وأمثالها، وعن أكل الحرام والقاذورات، وفيه الحَثُّ علىٰ تطهيرها من النجاسات والسواك. تاج العروس (١/ ٦١٤٧)، والنهاية (٥/ ١٧٢) **مادة: نظف.**

صدور الرجال من النعم من عقلها»[١].

وروي عنه أيضًا، أنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ آية، فأثبتها في مصحفي، فلما كان الليلة جئت أقرأها فلم أقدر علىٰ قراءتها، فعدت إلىٰ المصحف فوجدت مكان الآية بيض، فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أما علمت أنها رفعت البارحة؟**»[٢].

وعنه أيضًا، أنه قال: «اقرءوا القرآن قبل أن لا تقدروا علىٰ آية منه. قيل: وكيف ذلك يا بن مسعود ونحن نعلمه أبناءنا، وأبناؤنا يعلمونه أبناءهم. قال: يسري عليه في ليلة واحدة فينسخ من صدور الرجال ومن المصاحف، فيصبح الناس كالبهائم لا يقدرون علىٰ آية منه»[٣].

وعن أبي هريرة، أنه قال: «يسري علىٰ القرآن في ليلة واحدة، فلا يصبح في الأرض منه آية واحدة».

وفي حديث آخر: «يوشك أن يغضب الله لكتابه، فيسري عليه في ليلة، فلا يبقىٰ في قلب ولا ورقة منه حرف واحد»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).

(٢) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٨/ ٢١١/ ٥٨٧٠ تحفة الأخيار) بسند رجاله ثقات.

(٣) (صحيح الإسناد): رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٣٦٨)، والطبراني (٩/ ١٤١/ ٨٧١٧)، والدارمي (٣٣٤١)، والحاكم (٤/ ٥٤٩).

قال الهيثمي في المجمع: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة».

وقال الحافظ في الفتح (١٣/ ١٦): «وسنده صحيح لكنه موقوف».

(٤) (ضعيف جدًّا): رواه الطبراني في الأوسط (٧٥١٤) بسند ضعيف جدًّا.

آفته:

عيسىٰ بن ميمون الواسطي، قال البخاري: «منكر الحديث». وقال النسائي: «متروك الحديث». وقال ابن حبان: «يروي أحاديث كلها موضوعات»، انظر الميزان (٣/ ٣٢٥/ ٦٦١٧)، والضعفاء والمتروكين (٤٢٥).

وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٤٧٧): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عيسىٰ بن ميمون الواسطي وهو متروك، وقد وثقه حماد بن سلمة».

وفي حديث آخر: «ليرفعن القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم».

وروي عن النبي ﷺ، أنه كان يعرض نفسه في الموسم، ويقول: «هل من رجل يحملني إلىٰ قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[(١)].

وروي عنه، أنه قال: «لا تسافروا بالقرآن إلىٰ أرض العدو، مخافة أن يناله العدو»[(٢)].

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: ولم يذكر حبرًا ولا ورقًا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدام النظر في المصحف متع ببصره ما بقي في الدنيا، وفضل القراءة في المصحف نظرًا علىٰ قراءته ظهرًا - أي: حفظًا - كفضل الفريضة علىٰ النافلة».

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «من قرأ القرآن نظرًا ختمه غرس الله له به في الجنة» الحديث بطوله.

وعن النبي ﷺ، أنه قال: «خذوا القرآن عن أبي، وابن أم عبد - يعني: ابن مسعود - ومعاذ، وسالم».

وروىٰ عطية بن قيس، قال: «ما تكلم العباد بكلام أحب إلىٰ الله من كلامه - يعني: القرآن - ولا رفع إلىٰ الله كلام أحب إليه من كلامه».

وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب».

يؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فعلم بمجموع ما ذكرناه أن معتقد الصحابة والتابعين ما اعتقدنا ومذهبهم ما ذهبنا إليه ونصرناه.

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٨.

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩).

وقد نقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ، أنه قال: «لعن الله المشبهة والمعطلة. فقيل له: من المشبهة؟ قال: الذين يقولون: يد كيدي، وبصر كبصري».

ونقل عنه، أنه قال: «من شبه الله بخلقه فهو كافر بالله العظيم».

وروي عنه، أنه قال: مذهبنا بين مذهبين، وهُدًىٰ بين ضلالتين، إثبات الأسماء والصفات، مع نفي التشبيه والأدوات، لا نغالي في الصفات فنجعلها أجسامًا فنشبه الله بخلقه تعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا، ولا نقصر فنمحو عنه ما أثبته لنفسه، بل نقول كما سمعنا، ونشهد بما علمنا.

قال النبي ﷺ: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[1]، فالتشبيه زيغ وضلال، والتعطيل كفر وإبطال، والوقوف مع السلامة أسلم، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

وروىٰ يونس بن عبد الأعلىٰ المصري عن إمامنا الشافعي رحمه الله، أنه قال: «نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن، ونثبت الصفات التي جاءت بها السنة، وننفي التشبيه كما نفىٰ ذلك عن نفسه، فقال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فنحن نصف ولا نشبه، ونثبت ولا نجسم، ونعرف ولا نكيف. مذهبنا بين باطلين، وهدًىٰ بين ضلالتين، وسنة بين بدعتين، وقد تفرد الله سبحانه وتعالىٰ بحقائق صفاته ومعانيها عن العالم، فنحن بها مؤمنون، وبحقائقها موقنون، وبمعرفة كيفيتها جاهلون».

---

(١) لم أجده مرفوعًا.

ورواه وكيع بن الجراح في الزهد (٢/ ٥٩٠/ ٣١٥)، وعنه أحمد في الزهد (صـ٢٠٢)، والدارمي (٢١١) في سننه.

ورواه الطبراني في الكبير (٩/ ١٥٤/ ٨٧٧٠)، والبيهقي في الشعب (٢٢١٦).

وفي المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ (١/ ١٨٧/ ١٨٨/ ٢٠٤)، وأبو خيثمة في العلم (٥٤)، وغيرهم موقوفًا علىٰ ابن مسعود بسند صحيح.

وصححه الألباني في تخريجه لكتاب العلم لأبي خيثمة (٥٤).

فانظروا - رحمكم الله - إلىٰ لفظ هذين الإمامين وكيف اتحدا واتفقا[١] والتبري ما وراءه أحرىٰ.

اعلم أن القراءة هي المقروء بدليل بحث لغوي مرجعه إلىٰ أرباب اللغة. وقد جعلوهما بمعنىٰ واحد.

قال ابن قتيبة في كتاب «اللفظ»: العرب تسمي القراءة قرآنًا، قال الشاعر:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا

أي: قراءة.

قال أبو عبيدة: يقال: قرأه قراءة وقرآنًا بمعنىٰ واحد يجعلوهما مصدرين، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وإذا كانت القراءة والقرآن بمعنىٰ واحد، فيلزم التسليم.

وقد أجمعنا علىٰ أن كلام الله هو القرآن.

وأجمعنا علىٰ أن كلام الله غير مخلوق.

فيتعين أن تكون القراءة غير مخلوقة، وقد أجمع أهل العلم علىٰ أن من حلف: لا يتكلم بكلام الآدميين، فقرأ القرآن، أنه لا يحنث، ولو علق به طلاق زوجته لا يقع.

وقد أطلق الله تعالىٰ لفظ القرآن وأراد به القراءة في مواضع؛ منها: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾ الآية [الإسراء: ٤٥]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]، ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١ - ٢]، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨﴾ [القيامة: ١٨]، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨].

---

(١) في نسخة دار الكتب: [وكيف اتفقا واتحد].

والمراد بالجميع القراءة.

وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خذوا القرآن** **ن أبي وابن أم عبد...**».

وقوله ﷺ: «**إن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**»[1]. أي: القراءة به والتلاوة.

وأما إن الكتابة هي المكتوب، ففي آيات منها قوله تعالىٰ: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ سْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطور: ١ - ٣]، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨]، كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٧]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾. [الواقعة: ٧٧ - ٧٨]

يعني: هو الكتابة، كما أخبر في صفة نبينا ﷺ حيث قال: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا ندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والمراد به الكتابة وهي المودوعة في المصاحف إلىٰ يوم القيامة يتوارثها القراطيس تتضمنها.

وقد ذكر ابن عرفة في «تاريخه» هذه الأبيات عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، يرثي ا النبي ﷺ:

ـدنا الـوحي مـذ وليـت عنـا	**وودعنـــا مـــن الله الكـــلام**
ـوىٰ مـا قـد تركـت لنـا رهينًـا	**توارثـــه القـــراطيس الكـــرام**
ـد أورثتنـا قـرآن صـدق	**عليـك بهـا التحيـة والسـلام**
ـن الـرحمن في أعـلىٰ الجنـان	**مـن الفـردوس طـاب بهـا المقـام**

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

---

[1] سبق تخريجه صـ٤٦.

[الأعلى: ١٨ - ١٩]، ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [عبس: ١٣]، والمراد به الكتابة.

وروي عن الشافعي رضي الله عنه، أنه قال: «إذا سمعت من رجل يقول: الاسم غير المسمىٰ فاشهدوا عليه بالزندقة»[1].

* * *

فصل
في أن كلام الله مسموع

دليله آيات من الكتاب العزيز؛ منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ [الأحقاف: ٢٩] ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ [الجن: ١]، ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١٣]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [لقمان: ٧]، ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ١٣] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ [فصلت: ٢٦].

فعلم بهذه الآيات، أن كلام الله مسموع، والمسموع ليس إلا هذه الحروف والأصوات، فتكون هي كلام الله حقيقة، وإذا كانت هي كلام الله حقيقة لا يكون غيرها كلام الله ضرورة؛ لأن كلام الله أحد الشيئين، وليس هو ذلك الذي هو غيره فينبغي المصير إلىٰ هذا.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [إذا سمعتم الرجل يقول إن الاسم غير المسمىٰ فاشهدوا عليه بالزندقة].

فصل

في أحاديث تؤكد القول بهذا المعتقد وتؤيده على هذا التنزيه الذي عليه أئمة الإسلام حشرنا الله على معتقدهم وأماتنا على محبة السلف الصالحين والأئمة المهديين رضي الله عنهم أجمعين

فانظروا إلىٰ ما كان عليه الأئمة المهديون والفرق بينهم وبين غيرهم من المتعصبين من أهل زماننا علىٰ موافقة أغراضهم ومخالفتهم لهم؛ لكونهم انعطفوا علىٰ حب الدنيا وزخارفها، والتحبب إلىٰ رؤساء أعصارهم، حملهم علىٰ هذه الأمور المستبشعة، فباعوا المقطوع بالمظنون، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدىٰ ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

ونحن من ديننا: التمسك بكتاب الله عز وجل، وسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث المشهورين، ونؤمن بجميع أحاديث الصفات، لا نزيد علىٰ ذلك شيئًا، ولا ننقص منه شيئًا، كحديث قصة الدجال وقوله فيه:

«وإن ربكم ليس بأعور»(١).

وكحديث النزول إلىٰ سماء الدنيا(٢).

وكحديث الاستواء علىٰ العرش(٣)، وإن القلوب بين أصبعين من أصابعه(٤)، وإنه يضع السموات علىٰ إصبع والأرضين علىٰ إصبع(٥)، ونقول بتصديق حديث المعراج(٦)،

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٩)، ومسلم (١٦٩).

(٢) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٣) رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٤) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٥) رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٦) رواه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (١٦٢).

وبصحيح ما فيه من الروايات، وندين أن الله مقلب القلوب[١]، وما أشبه هذه الأحاديث جميعها، كما جاءت بها الرواية من غير كشف عن تأويلها، وأن نمرها كما جاءت.

وأن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وإن الله يقرب من عباده كيف يشاء؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝﴾ [النجم: ٨ - ٩]، وأشباه ذلك من آيات الصفات، ولا نتأولها ولا نكشف عنها، بل نكف عن ذلك كما كف عنه السلف الصالح.

ونؤمن بأن الله علىٰ عرشه كما أخبر في كتابه العزيز، ولا نقول: هو في كل مكان، بل هو في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه مكان، كما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وكما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١١].

وكما جاء في حديث الإسراء إلىٰ السماء السابعة: «**ثم دنا من ربه**».

وكما في حديث سوداء أريدت أن تعتق، فقال لها النبي ﷺ: «**أين ربك؟**» فقالت: في السماء. فقال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[٢].

وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة، نؤمن بذلك ولا نجحد شيئًا من ذلك.

وقد روت الثقات عن مالك بن أنس أن سائلًا سأله عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) رواه مسلم (٥٣٧).

(٣) (صحيح): رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦، ٨٦٧).

وقال الذهبي في العلو (٣٤٤): وساق البيهقي بإسناد صحيح... وذكره.

وقال ابن حجر بعد أن عزاه للبيهقي من طريق ابن وهب (بسند جيد) فتح (١٣/ ٤٠٧): «ورواه أيضًا الدارمي في الرد =

فيا إله السموات والأرضين، ويا خالق الخلق أجمعين، أنت المطلع علىٰ
بواطن، وأنت الرقيب علىٰ كل خافق وساكن، أسألك أن تغفر لنا ولإخواننا الذين
سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم.

فهذا: آخر ما أردنا ذكره من هذا المختصر من معتقد مصنفه، مما ذكره في
كتابه كتاب «غاية المرام في مسألة الكلام» للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن
الأرموي الشافعي، وهو الذي عليه الجمهور من السلف والخلف.

وهذا الذي ذكرناه جميعه من كلام الشيخ أبي العباس الأرموي رحمه الله.

* * *

علىٰ الجهمية (١٠٤)، واللالكائي (٦٤٤)، وغيرهم.

ثم نشرع في كلامنا نحن

وهو القسم الثاني فيما نذكره فيها وضعناه في كتابنا المعروف «بالتبيان في آداب حملة القرآن»، فلنذكر من الباب الأول أخبارًا في فضيلة تلاوة القرآن وحملته، فهي كثيرة جدًّا، فمن جملتها:

عن عمر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»**[١] [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف [ولكن] ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**[٢] [رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

وعن عبد الله بن مسعود أيضًا، قال: «اقرءوا القرآن، إن الله[٣] لا يعذب قلبًا وعىٰ القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر»[٤].

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»**[٥] [رواه مسلم].

---

(١) رواه مسلم (٨١٧).

(٢) (صحيح): رواه الترمذي (٢٩١٠)، والبخاري في تاريخه الكبير (١/ ٢١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٤٢/ ١٩٨٣).

صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٩)، وفي صحيح الترغيب (١٤١٦).

(٣) في نسخة دار الكتب: [فإن الله].

(٤) سبق تخريجه صـ٥٩ من قول أبي أمامة رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم (٨٠٤).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[1] [رواه البخاري].

ومن الباب السابع منه: في آداب الناس كلهم مع القرآن:

ثبت في «صحيح مسلم» عن تميم الداري، قال: إن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**». قلنا: لـمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[2].

قال العلماء: النصيحة لكتاب الله تعالىٰ هي الإيمان بأنه كلام الله تعالىٰ، وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام المخلوقين، ولا يقدر علىٰ مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه وإلىٰ ما ذكرنا من نصيحته.

* * *

فصل

أجمع المسلمون علىٰ وجوب تعظيم القرآن العظيم علىٰ الإطلاق، وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا علىٰ أن من جحد منه حرفًا مما أجمع عليه، أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك، فهو كافر.

قال الإمام الحافظ أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله: «اعلم أن من استخف

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) رواه مسلم (٥٥).

بالقرآن أو بالمصحف أو بشيء منه، أو شبه[١] أو جحد حرفًا[٢]، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفىٰ ما أثبته، وهو عالم بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر بإجماع المسلمين. وكذلك إن من جحد التوراة والإنجيل[٣]، أو كتب الله المنزلة، أو كفر بها، أو سبها أو استخف بها، فهو كافر».

قال: «وقد أجمع المسلمون علىٰ أن القرآن المتلو في جميع الأقطار، والمكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين، مما جمعه الدفتان من أول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلىٰ آخر «الناس»[٤] كلام الله ووحيه المنزل علىٰ نبيه[٥] ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع عليه أنه ليس بقرآن، عامدًا لكل هذا فهو كافر».

قال أبو عثمان الحداد: «جميع من ينتحل التوحيد متفقون علىٰ أن الجحد بحرف من القرآن كفر، وقد اتفق فقهاء بغداد علىٰ استتابة ابن شنبوذ القارئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين لها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بسواد[٦] من الحروف مما ليس في المصحف، وعقدوا عليه للرجوع عنه والتوبة منه سجلًا أشهد علىٰ نفسه[٧] في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [أو شبهه].

(٢) في نسخة دار الكتب: [حرفًا منه].

(٣) في نسخة دار الكتب: [وكذلك إن جحد التوراة أو الإنجيل].

(٤) في نسخة دار الكتب: [إلىٰ آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾].

(٥) في نسخة دار الكتب: [علىٰ نبيه محمد].

(٦) في نسخة دار الكتب: [بشواذ].

(٧) في نسخة دار الكتب: [أشهدوا فيه علىٰ نفسه].

وأفتىٰ محمد بن أبي زيد فيمن قال لصبي: لعن الله معلمك وما علمك. قال: أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن. قال: يؤدب القائل.

قال: وأما من لعن المصحف فإنه يقتل. هذا آخر كلام القاضي عياض.

* * *

فصل

ويحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه.

وأما تفسيره للعالم فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه.

فمن كان من أهل التفسير جامعًا للأدوات التي تعرف بها معناه، وغلب علىٰ ظنه المراد، فسّره إن كان مما يدرك بالاجتهاد، كالمعاني والأحكام الخفية والجلية، والعموم والخصوص، والإعراب وغير ذلك، وإن كان مما لا يدرك بالاجتهاد، كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغوية، فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله.

أما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته، فحرام عليه التفسير.

ولكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله.

ثم المفسرون برأيهم من غير دليل صحيح أقسام:

فمنهم: من يحتج بآية علىٰ تصحيح مذهبه وتقوية خاطره، مع أنه لا يغلب علىٰ ظنه أن ذلك هو المراد بالآية، وإنما يقصد الظهور علىٰ خصمه.

ومنهم: من يقصد الدعاء إلىٰ خير ويحتج بآية من غير أن يظهر له دلالة لما قاله.

ومنهم: من يفسر الألفاظ العربية من غير وقوف علىٰ معانيها عند أهلها، وهي مما لا يؤخذ إلا بالسماع من أهل العربية وأهل التفسير، كبيان معنىٰ اللفظة

وإعرابها، وما فيها من الحذف والاختصار والإضمار، والحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والإجمال والبيان، والتقديم والتأخير.

ولا يكفي في ذلك معرفة العربية وحدها، بل لابد معها[(١)] معرفة ما قاله أهل التفسير فيها، فقد يكونون مجتمعين علىٰ ترك الظاهر، أو علىٰ إرادة الخصوص والإضمار أو غير ذلك «مما به خالف» الظاهر، وكما إذا كان اللفظ مشتركًا بين معاني، فعلم أن المراد أحد المعاني، ثم فسر كل ما جاء به، فهذا كله تفسير بالرأي وهو حرام، والله أعلم.

* * *

فصل

يحرم المراء في القرآن والجدال فيه بغير حق، ومن ذلك أن يظهر له دلالة الآية علىٰ شيء يخالف مذهبه، ويحتمل احتمالًا ضعيفًا موافقة مذهبه، ويناظر علىٰ ذلك فيحملها علىٰ مذهبه مع ظهورها له في خلاف ما يقول، وأما من لا يظهر له ذلك فهو معذور.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المراء في القرآن كفر»[(٢)].

قال الخطابي: قيل: المراء المراد به الشك.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [معها من].

(٢) (صحيح): رواه أبو داود (٤٦٠٣)، والنسائي في الكبرىٰ (٨٠٩٣)، وابن حبان (١٤٦٤)، وأحمد (٧٩٧٦)، والآجري في الشريعة (١٤٠، ١٤١)، وغيرهم.

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣١٥): «رواه كله أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه».

وحسنه ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود عون (١٠/ ١٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٨٧)، وصحيح الترغيب (١٤٣)، قال المناوي: «أي الشك في كونه كلام الله أو أراد الخوض فيه بأنه محدث أو قديم أو المجادلة في الآي المتشابهة، وذلك يؤدي إلىٰ الجحود، فسماه كفرًا باسم ما يُخاف عاقبته» اهـ.

وقيل: الجدال المشكك فيه.

وقيل: الجدال الذي يفعله أهل الأهواء في آيات القدر ونحوها.

* * *

فصل

لا يمنع الكافر من سماع القرآن؛ لقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ويمنع من مس المصحف.

وهل يجوز تعليمه القرآن؟ قال أصحابنا: إن كان لا يرجىٰ إسلامه، لم يجز تعليمه. وإن رجي إسلامه ففيه وجهان:

أصحهما: يجوز رجاء إسلامه.

والثاني: لا يجوز كما لا يجوز بيع المصحف منه وإن رجي إسلامه، وأما إذا رأيناه يتعلم، فهل يمنع فيه وجهان.

* * *

فصل

اختلف العلماء في كتابة القرآن في إناء ثم يغسل ويسقىٰ للمريض، فقال الحسن ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي: لا بأس به، وكرهه النخعي. قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما من أصحابنا: ولو كتب القرآن علىٰ الحلوىٰ وغيرها من الأطعمة، فلا بأس بأكلها.

قال القاضي: لو كان علىٰ خشبة كره إحراقها.

* * *

فصل

مذهبنا أنه يكره نقش الحيطان والأبواب بالقرآن وبأسماء الله تعالىٰ.

وقال عطاء: لا بأس بكتب القرآن في قبلة المسجد، وأما كتابة الحروز من القرآن، فقال مالك: لا بأس به إذا كان في قصبة أو جلدة خرز عليه.

وقال بعض أصحابنا: إذا كتب في الحرز قرآنًا مع غيره فليس بحرام، ولكن الأولىٰ تركه لكونه يحمل في الحدث، وإذا كتب يصان كما قاله الإمام مالك. بهذا أفتىٰ الشيخ أبو عمرو بن الصلاح.

* * *

فصل

اتفق العلماء علىٰ استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها، وتبيينها وإيضاحها، وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه.

قال العلماء: يستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه والتصحيف.

وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط، فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفًا من التغير فيه وقد أمن من ذلك اليوم فلا يمنع، ولا يمتنع من كونه محدثًا فإنه من المحدثات الحسنة، فلم يمنع منه كنظائره، مثل: تصنيف العلم، وبناء المدارس، والرباطات، وغير ذلك، والله أعلم.

* * *

فصل

لا يجوز كتابة القرآن بشيء نجس ويكره[1] كتابته علىٰ الجدران عندنا.

---

(١) في نسخة دار الكتب: [وتكره].

فصل

أجمع المسلمون علىٰ وجوب صيانة المصحف واحترامه.

قال أصحابنا وغيرهم: ولو ألقاه مسلم في القاذورة والعياذ بالله صار الملقي كافرًا.

ويحرم[١] توسده، بل توسد آحاد كتب العلم حرام، ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم[٢]؛ لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار، فالمصحف أولىٰ.

وقد قررت دلائل استحباب القيام في الجزء الذي جمعته فيه.

وروينا في «مسند الدارمي» بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة، أن عكرمة بن أبي جهل كان يضع المصحف علىٰ وجهه، ويقول: كتاب ربي، كتاب ربي[٣].

* * *

فصل

يحرم علىٰ المحدث مس المصحف وحمله، سواء حمله بعلاقة[٤] أو بغيرها سواء مس نفس المكتوب أو الحواشي أو الجلد، ويحرم مس الخريطة والغلاف والصندوق إذا كان فيهن المصحف. وهذا هو المذهب المختار.

لو كتب القرآن في لوح فحكمه حكم المصحف سواء قل المكتوب أو كثر،

---

(١) في نسخة دار الكتب: [قالوا ويحرم].

(٢) في نسخة دار الكتب: [إذا أقدم به عليه].

(٣) رواه الدارمي (٣٣٥٠)، والحاكم (٣/ ٢٧١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٩) بسند ضعيف.

ابن أبي مليكة لم يدرك عكرمة فالإسناد منقطع.

قال الذهبي في التلخيص: مرسل.

(٤) في نسخة دار الكتب: [بعلاقته].

ولو(١) كان بعض آية كتب للدراسة حرم مس اللوح.

* * *

فصل

ويمنع الصبي والمجنون الذي لا يميز من حمل المصحف مخافة من انتهاك حرمته، وهذا المنع واجب على الولي وغيره ممن رآه يتعرض لحمله.

هذا الذي ذكرته مذهب أصحابنا المحققين والمعتمد عليهم في التقليد والنقل، أصحاب الجرح والتعديل رضي الله عنهم أجمعين.

اللهم اجعله شاهدًا لنا لا علينا، ووفقنا وسائر أحبابنا لمرضاتك، وأمتنا على هذا المعتقد، معتقد الصحابة والتابعين، والمشايخ والصالحين، إنك على ما تشاء قدير، واجمع بيننا وبين مشايخنا ومن أحببناه، وأحبنا في دار كرامتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

ثم قال المصنف رحمه الله: فرغنا من نسخه الخميس الثالث من شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة(٢).

---

(١) في نسخة دار الكتب: [حتى لو].

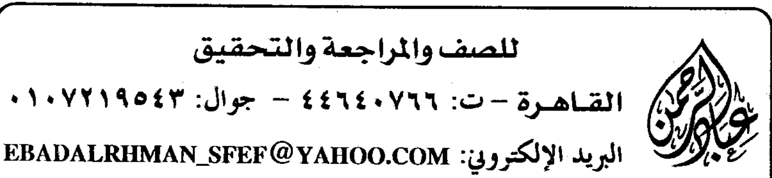
(٢) في نسخة دار الكتب: [قال المصنف النواوي رحمه الله: فرغت من نسخه الخمس الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وستمائة.

هذا في نسخة بخط أبي إسحاق إبراهيم رحمه الله...].

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

* * *


للصف والمراجعة والتحقيق
القاهرة - ت: ٤٤٦٤٠٧٦٦ - جوال: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣
البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN_SFEF@YAHOO.COM